المسلمون

بين الأزمـــة والنهضـــة

تأليـــف

د . عبد الحى الفرمـــاوى
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بجامعـــة الأزهـــر

الناشر : دار التوزيع والنشر الإسلامية

دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت : ٣٩١١٩٦١ ص . ب : ١٦٣٦

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله ، وصحبه ، والتابعين لهم بإحسان ، إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فقد ألقيت محاضرة ذات يوم ، وتحدثت فيها عن : واقع المسلمين اليوم ، الأليم .

وطاف الحديث حول : تخلفهم المهين ، وانحطاطهم المشين ، وفقرهم من مقومات النجاح ، وبعدهم عن صفوف الزعامة ، وعجزهم عن الخلافة والقيادة .

وتطرق الحديث آنذاك إلى : بيان أسباب هذه الأزمة ، التى تجثم فوق صدر الأمة الإسلامية ، وتوهن قوتها ، التى لا تضارعها قوة ، لو علم أهلها ذلك !، وتبدد شملها ، الذى يخشى اجتماعه كل أعدائها ، وتذهب هيبتها ، التى تتمتع بها ما دامت تعتز بربها وبدينها .

كما عرج الحديث ثالثا إلى : النتيجة الحتمية لهذه الأزمة ، وهى سيادة قوى الشر ، وزعامة أصحاب المذاهب الفاسدة ، والنحل المنحرفة ، والأفكار الهدامة .

والتى أدت – بزعامتها هذه – إلى جعل العالم وحوشا مسعورة فى غابة الاختراعات المدمرة ، والاكتشافات الفتاكة ، على الرغم مما قد يخدع به البعض من أن الأرض أخذت زخرفها وأزينت لأهلها .

والتى جعلت صوت الشر والباطل : عاليا ، خفاقا ، مجلجلا ، يتيه بالزهو والانتصار ، بينما صوت الخير والحق يتوارى على استحياء ، من فقر أهله ، وعجزهم ، وتخلفهم عن ركب القيادة ، ومكان الصدارة .

والتى صارت نذيرا مبينا ، وتنبيها واضحا ، بل صوتا صارخا : لأهل الخير ، لأهل الحق ، للأمة الإسلامية ، قادة ، وشعوبا ، أن انتبهوا ، أفيقوا ، انهضوا ، وسارعوا إلى احتلال مكانكم الضائع ، وواجبكم المقدس ، فى قيادة العالم .

قيادة العالم ..!!؟

نعم ..

بنجاحكم فى العودة لدينكم .

بنجاحكم فى قيادة أنفسكم .

بنجاحكم فى التئام شملكم .

بنجاحكم فى وحدة صفكم .

بنجاحكم فى امتلاك ناصية الدنيا : بالعلم ، والتفوق ، وإحراز القوة .

قيادة توجه للخير وتعين عليه ، لا قيادة ترغم على الشر وتزين له .

قيادة تؤدى إلى عمارة الكون والتسابق فى اكتشاف واستخراج ما أودع الله – لعباده – فيه من خيرات وثروات ونعم . لا قيادة تنتج خراب الدنيا ، وتتنافس فى حروب الفضاء ، وتدمير الخضراء ، وإفساد الأخلاق ، وتجويع الشعوب ، وإذلال العباد .

وإلا .. يستبدل الله تعالى بكم :

﴿ قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾(*) .

(*) سورة محمد : الآية ٣٨ .

لهذه الأمانة ..

قوما ..

﴿ يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾(**) !

* * *

إلى غير ذلك : مما وفق الله به ، وأعان عليه ، ذلك اليوم .

وانتهت المحاضرة .

وكانت الأسئلة التى تعقب المحاضرات عادة .

وكان سؤال من مستمع كريم .

ويا له من سؤال !!

قال السائل : لقد شخصت الداء ، ووضحت المرض ، وبينت العلل !!!

لكننا نعرف ذلك جيدا ، ونسمعه – فى أيامنا هذه – كثيرا ، بل كدنا نمله ؛ من طول ترديده ، وشرحه وتجويده .

أما كان الأولى أن تحدثنا – أو تشفع حديثك هذا – بوسيلة لخروج المسلمين من هذه الأزمة الراهنة ، ونهضتهم من « تخلفهم المهين ، وانحطاطهم المشين ، وفقرهم من مقومات النجاح ، وبعدهم عن صفوف الزعامة ، وعجزهم عن الخلافة والقيادة » ؟

فتفيد وتستفيد !

وتبنى وتربى !

بدل هذه الاعادة العارية عن الافادة ؟

(**) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

وهنا :

ولا أخفى عليك أيها القارىء الكريم .

أسقط فى يدى !!

ولم استطع الجواب .

ويعلم الله تعالى – ويغفر لى – أنه ما كان عندى من جواب .

وانتهت الأسئلة .

وانصرف الحضور .

وانصرف السائل .

ولا أدرى :

هل ظن أنى – لضيق الوقت – أضن بالجواب ؟

أو صدق أنى – لجهلى – لا أعرف الجواب ؟

* * *

وعشت بعدها حائرا ، متساءلا :

ما الجواب ؟

ما الوسيلة لخروج المسلمين من هذه الأزمة الراهنة ؟

بل ما العلاج الذى يساعد على نهضتهم من « تخلفهم – وأعيدها ثالثة – المهين ، وانحطاطهم المشين ، وفقرهم من مقومات النجاح ، وبعدهم عن صفوف الزعامة ، وعجزهم عن الخلافة والقيادة ؟؟ » .

وبدأت : أقرأ ، وأراجع ، واستمع ، وأحاور ، وأناقش .

أملا فى الوصول إلى : وسيلة فعالة ، وعلاج ناجع .

وطالت : القراءة ، والمراجعات ، والاستماع ، والمحاورات ، والمناقشات .

لكننى لم أصل إلى ما يشفى الفؤاد .

حتى سافرت لأداء العمرة ، وزيارة قبر الحبيب سيدنا محمد ﷺ .

فى جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ الموافق فبراير ١٩٨٥ م .

وانشغلت بالسفر ، والحل والترحال ، واهتبال هذه الأيام بالدعاء، وتلاوة القرآن ، راجيا عفو الله وغفرانه .

وذات صباح ، وعقب صلاة الفجر ، بالمسجد النبوى الشريف .

وفى الروضة النبوية .

كنت أتلو فى كتاب الله تعالى : بخشوع ، وتذلل ، وإدراك .

وفى سورة النور كنت أقرأ .

وفجأة ..!!

كان جواب السؤال .

الذى حيرنى كثيرا ، واتعبنى طويلا .

والذى يبدو أنه ما غاب عن خيالى فى حل أو ترحال .

بل الحق أقول :

الذى فتح الله على بمعرفته – فى هذا المكان الطاهر ، والوقت المبارك – بالرغم من كثرة الحل والترحال .

نعم ..

كان الجواب ..

وذلك ..

فى آيات كريمة من سور النور .

وكأنى ساعتها : كنت أقرؤها لأول مرة فى حياتى .

وقد مكثت ساعتها : أرددها وأعيدها فى سياحة نفسية روحانية قرآنية حتى طلعت شمس ذلك اليوم الطيب المبارك ، وأنا بهذا المكان المقدس الطيب المبارك ، على ساكنه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

هذه الآيات :

بل هذه « التذكرة الإلهية » للعلاج من أزمة المسلمين الحالية ، والمعينة على نهضتهم المرجوّة .

هى قوله تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون *

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون *

لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾(***) .

* * *

وحول جواب سؤال الأخ الكريم !

وحول الوسيلة لخروج المسلمين من هذه الأزمة الراهنة ! ووصولهم إلى نهضتهم المأمولة ..!!

وحول علاج تخلف المسلمين المهين ، وانحطاطهم المشين ، وفقرهم من مقومات النجاح ، وبعدهم عن صفوف الزعامة ، وعجزهم عن الخلافة والقيادة .

(***) الآيات : ٥٥ - ٥٧ .

وتحت عنوان : « أزمة المسلمين وعلاجها من القرآن الكريم » كان الحديث : الذى يثبت ويؤكد أن « الإسلام هو الحل » ولا حل بسواه .

وهو : محاولة متواضعة منى - بجانب جهود أساتذتى من العلماء العاملين ، والدعاة الغيورين ، المخلصين ، الناصحين - فى هذا المجال .

راجيا بها أن تكون :

- بلسما لجراح هذا العالم ، اللاهث فى حروبه ، الغارق فى ذنوبه ، التائه عن : درب عزه ، وأمنه ، وسعادته .

- ودرجة من درجات الصعود نحو امتلاك مؤهلات خيرية هذه الأمة .

- وطريقا من طرق العودة للقيادة الضائعة منا ، والزعامة الباكية علينا ، والخلافة الراشدة فينا .

- و« زادا للدعاة » إلى الله تعالى - وأنا منهم - ينير لهم - وأنا معهم - الطريق ، ويمد لهم - ولى كذلك - يد العون والمساعدة ، فى الوصول إلى حسن عبادةالله تعالى : بالامتثال ، والقدوة الصالحة ، والتبليغ : بالموعظة الحسنة ، والكلمة الطيبة والجهاد الصادق ، أملا فى : نشر هدى القرآن الكريم ، وتوسلا لنيل رضوان الله تعالى ، عن طريق : تحقيق ما يطلب منا ، ونوال ما يعدنا به المولى : من نهضة نخرج بها - مع أمتنا - من أزماتنا .

هذا .. وقد طبع الكتاب أكثر من مرة - قبل ذلك - تحت عنوان « تخلف المسلمين وعلاجه من القرآن الكريم » ونفذت - بفضل الله تعالى - جميعها .

وهذه المرة : رأت « دار التوزيع والنشر الإسلامية » أن تكون صاحبة الفضل فى نشر هذه « الطبعة الخامسة » ، التى دخل التنقيح والتعديل والإضافة بعض فصولها ومادتها العلمية ، والتى تغير فيها - بمقتضى ذلك - اسم الكتاب إلى « المسلمون بين الأزمة والنهضة » !!

فتقبل الله منا ومنهم .

وأخلص القصد .

ورزق القبول .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

القاهرة – عين شمس – أرض النعام .. يوم الأحد

٢٠ من شعبان ١٤١١ هـ

١٧ من مارس ١٩٩٠ م

أبو مصطفى

عبد الحى حسين الفرماوى

مدخل

المسلمون
أصحاب رسالة .. وأتباع منهج

* ميلاد أمة ..
* دورها في الحياة ..
* مؤهلات نجاحها ..
* أزمة طارئة ..

ميـــلاد أمـــة

يقول العلامة أبو الحسن الندوى : كان العالم قبل أربعة عشر قرنا سائرا سيره الطبيعى لا ينكر من أمره شيء ، فكانت القرى والمدن عامرة بالسكان ، وكانت العواصم الكبرى زاخرة العمران ، شامخة البنيان ، وكانت الحرف البشرية ووجوه المعاش فى ازدهار وانتشار ، كانت الزراعة وكانت التجارة وكانت الصناعة، فبينما كانت سكة الفلاحة فى شغل ونشاط كانت القوافل التجارية غادية رائحة بين الشرق والغرب وكانت الأسواق مشحونة بالمتاجر والبضائع ، وكان الصناعون مكبين على أعمالهم وكانت الحكومات والأمارات والدول غنية بأموالها ورجالها ، لكل وظيفة رجل كفؤ بل رجال أكفاء ، وكان على وجه الأرض كل نوع من البشر ، وكل لون من الحياة ، وكل مظهر من مظاهر المدنية ، لا يرى فى الحياة الإنسانية المادية عوز أو فراغ . ولم تكن فى المدينة وظيفة شاغرة يترشح لها مترشح جديد ، وكانت كأس الحياة مترعة لا تطلب المزيد .

فى هذه الحال ظهرت أمة فى جزيرة العرب ووجد نوع جديد من البشر ، وكأنى بالأمم المعاصرة وهى تتساءل : أى داع إلى ظهور أمة جديدة والأمم على وجه الأرض كثيرة منتشرة ، وما شغل هذه الأمة الحديثة ، وما مهمتها فى العالم ؟

وكأنى بها تقول : إذا كانت هذه الأمة إنما بعثت للزراعة وعمارة الأرض فقد كان فى فلاحى الطائف ، وأكارى مدينة يثرب ، وزراع وادى الفرات والنيل وغيرهما ، فى غنى عن أمة زراعية جديدة ، إذ أصبحت أراضى هؤلاء الفلاحين وبلادهم جنة تدر لبنا وعسلا ، وإذا كان المسلمون إنما بعثوا ليشتغلوا بالزراعة فقط ، فلماذا لم يبعثوا فى العراق ، وفى مصر ، والهند وهى بلاد مخصبة زراعية ، ولماذا كان مبعثهم فى واد غير ذى زرع ؟

وإذا كانت هذه الأمة إنما بعثت للتجارة ، فقد كان فى يهود يثرب وفى أنباط الشام وفى أقباط مصر وتجار السند كفاية ، فقد أحكموا فن التجارة

وانتشروا فى العالم ، وإذا كانوا قد بعثوا ليشتغلوا بالتجارة حقا فلماذا لم يبعثوا على طريق القوافل التجارية ، وبقرب من أسواق التجارة الكبرى ؟

وإذا كانت هذه الأمة إنما بعثت لتنضم إلى الحكومات الرومية والإيرانية وتشغل أفرادها وظائف هذه الحكومات ومناصبها ، فقد كان فى أهل الشام وفارس غنى وكفاية فى الإدارة ، وأنهم يزاحمون الأجانب بالمناكب ويدفعونهم بالراح .

وإذا كانت هذه الأمة بعثت لعيش هنيىء ، ومطعم شهى ، ومشرب مرىء ، وملبس وضىء ، ومسكن بهى ، لا لشىء آخر وإنما مناها وهمها أن تلقى لبوسا ومطعما ، لم تكن بدعا من الأمم ، وكانت منافسة لنا فى ميدان الحياة ، فحق لنا أن نقاتلها ونذودها عن مناهلنا ، وقد ضاقت بنا ، فكيف تسع أمة جديدة ؟

وإذا كانت هذه الأمة إنما تحاول ملكا ، أو تريد أن تؤسس دولة ، فيجب أن تصرح بذلك ، وتتخذ له طريق الملوك والفاتحين ، ولا تتظاهر بالدين .

وإن الطريق إلى كل ذلك – من زراعة ، وتجارة ، وصناعة ، ووظيفة ، وحياة بذخ وترف ، وملك وشرف – غير الطريق التى سلكتها هذه الأمة الجديدة ، فقد سفهت أحلامنا ، وعابت آلهتنا ، ونعت على عقائدنا وأخلاقنا وأعمالنا ، ودعت إلى دين جديد ، وسارت فى سبيل ذلك فى شوك وقتاد ، وجاهدت فى غير جهاد .

لقد كان الطريق إلى الرفاهية أو الحكومة مسلوكة معبدة ، قد سلكتها الأمم من قبل ، ومشى عليها الملوك ، وأصحاب الطموح فى عصرهم ، فمن حال بينها وبين هذه الطريق ؟ وما الذى عدل بها عن جادة الحياة ، وهى معلومة واضحة ؟!

* * *

هذا ما أظنه تناجى به ضمير الإنسان العاقل فى فجر الإسلام ولا ألومه ولا استغرب هذا السؤال ، فإن هذا السؤال طبعى ينبغى أن يهجس فى قلب

الإنسان ، وينطق به اللسان ، عند كل ناشئة فلماذا لا ينشأ هذا السؤال عند ظهور أمة بأسرها ؟

ما الجواب ؟ إذا كان الجواب فى الاثبات ، وإذا كان مبعث هذه الأمة فى الحقيقة بشيء مما ذكرناه ولم تكن لهذه الأمة مهمة جديدة فى العالم ، ورسالة خاصة إلى الأمم ؛ كانت هذه الأمة حقا من فضول الأمم ، ومن المتطفلين على مائدة العالم .

ولكن الله لم يبعثها لهذا أو لذاك ، والأمة والأشخاص لا يبعثون لشيء من هذا ، وإنما هى من طبائع البشر ، لا تحتاج إلى نبوة نبى ، ولا بعثة أمة ، وجهاد طويل وزلزال عالمى لم يسبق فى التاريخ زلزال – فى المعتقد والأخلاق والميول والنزعات ، وفى نظام الفكر ومنهاج الحياة – مثله .

لقد كان مبعثها لغرض سام جدا ، لمهمة غريبة طال عهد الإنسانية بها ، وتشاغلت أمم الأنبياء عنها حتى نسيتها ، وذلك ما خاطب به الله سبحانه وتعالى هذه الأمة :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ﴾[1] !

فنبه على أن هذه الأمة ليست نابتة نبتت فى الأرض كأشجار برية أو حشائش شيطانية ، بل إنها أمة أخرجت ولأمر ما أخرجت ! وأنها لم تظهر لمصلحتها فحسب كسائر الأمم ، بل أنها أخرجت للناس ، وذلك ما تمتاز به الأمة فى التاريخ ، فما من أمة إلا وهى وليد أغراضها ورهين بطنها وشهواتها ، تعيش لأجلها وتموت فى سبيلها ، أما الأمة الإسلامية فهى أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ، وتجاهد فى سبيل الله[2] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٢) إلى الإسلام من جديد ، ص ٧ – ١٠ .

وذلك لأنها « الأمة الوسط » ، التى تشهد على الناس جميعا ، فتقيم بينهم العدل والقسط ، وتضع الموازين والقيم ، وتبدى فيهم رأيها ؛ فيكون هو الرأى المعتمد ، وتزن قيمهم ، وتصوراتهم ، وتقاليدهم ، وشعاراتهم ؛ فتفصل فى أمرها ، وتقول : هذا حق منها ، وهذا باطل .

لا التى تتلقى من الناس تصوراتها ، وقيمها ، وموازينها :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ .

وهى : شهيدة على الناس ، وفى مقام الحكم العدل بينهم ، وبينما هى تشهد على الناس هكذا :

﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ .

فإن الرسول ﷺ ، هو الذى يشهد عليها ، فيقرر لها : موازينها ، وقيمها ، ويحكم على أعمالها وتقاليدها ، ويزن ما يصدر عنها ، ويقول فيه الكلمة الأخيرة : **﴿ ويكون الرسول شهيدا عليكم ﴾ .**

وبهذا تتحدد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها ، لتعرفها ولتشهد بضخامتها ، ولتقدر دورها حق قدره ، وتستعد لها استعدادا لائقا[٣] .

وذلك منذ اللحظة الأولى لميلادها ، وظهورها على مسرح الحياة .

* * *

---

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ٤/١٣٠ ، ١٣١ بتصرف يسير .

دورهـــا فى الحيـــاة

وهذا ما ينبغى أن تدركه الأمة المسلمة – كما يقول شهيد الإسلام المرحوم سيد قطب – لتعرف حقيقتها وقيمتها ، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة ، ولتكون لها القيادة ، بما أنها هى خير أمة . والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر فى هذه الأرض . ومن ثم لا ينبغى لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية ، إنما ينبغى دائما أن تعطى هذه الأمم مما لديها . وأن يكون لديها دائما ما تعطيه . ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح ، والتصور الصحيح ، والنظام الصحيح ، والخلق الصحيح ، والمعرفة الصحيحة ، والعلم الصحيح .. هذا واجبها الذى يحتمه عليها مكانها ، وتحتمه عليها غاية وجودها . واجبها أن تكون فى الطليعة دائما ، وفى مركز القيادة دائما ، ولهذا المركز تبعاته ، فهو لا يؤخذ ادعاء ، ولا يسلم لها به إلا أن تكون هى أهلا له .. وهى بتصورها الاعتقادى ، وبنظامها الاجتماعى أهل له . فيبقى عليها أن تكون بتقدمها العلمى ، وبعمارتها للأرض – قياما بحق الخلافة – أهلا له كذلك .. ومن هذا يتبين أن المنهج الذى تقوم عليه هذه الأمة يطالبها بالشيء الكثير ، ويدفعها إلى السبق فى كل مجال .. لو أنها تتبعه وتلتزم به ، وتدرك مقتضياته وتكاليفه .

وفى أول مقتضيات هذا المكان ، أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد .. وأن تكون لها القوة التى تمكنها من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهى خير أمة أخرجت للناس ، لا عن مجاملة أو محاباة ، ولا عن مصادفة أو جزاف – تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا – وليس توزيع الاختصاصات والكرامات كما كان أهل الكتاب يقولون : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .. كلا ! إنما هو العمل الإيجابى لحفظ الحياة البشرية من المنكر ، وإقامتها على المعروف ، مع الإيمان الذى يحدد المعروف والمنكر :

﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

فهو النهوض بتكاليف الأمة الخيرة ، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب ، وبكل ما فى طريقها من أشواك .. إنه التعرض للشر والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد .. وكل هذا متعب شاق ، ولكنه كذلك ضرورى لإقامة المجتمع الصالح وصيانته ؛ ولتحقيق الصورة التى يحب الله أن تكون عليها الحياة ..

ولابد من الإيمان بالله ليوضح الميزان الصحيح للقيم ، والتعريف الصحيح للمعروف والمنكر . فإن اصطلاح الجماعة وحده لا يكفى . فقد يعم الفساد حتى تضطرب الموازين وتختل . ولابد من الرجوع إلى تصور ثابت للخير والشر ، وللفضيلة والرذيلة ، وللمعروف والمنكر ، يستند إلى قاعدة أخرى غير اصطلاح الناس فى جيل من الأجيال .

وهذا ما يحققه الإيمان ، بإقامة تصور صحيح للوجود وعلاقته بخالقه . وللإنسان وغاية وجوده ومركزه الحقيقى فى هذا الكون .. ومن هذا التصور العام تنبثق القواعد الأخلاقية . ومن الباعث على ارضاء الله وتوقى غضبه يندفع الناس لتحقيق هذه القواعد . ومن سلطان الله فى الضمائر ، وسلطان شريعته فى المجتمع تقوم الحراسة على هذه القواعد كذلك .

ثم لابد من الإيمان أيضا ليملك الدعاة إلى الخير ، الآمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر ، أن يمضوا فى هذا الطريق الشاق ، ويحتملوا تكاليفه . وهم يواجهون طاغوت الشر فى عنفوانه وجبروته ، ويواجهون طاغوت الشهوة فى عرامتها وشدتها ، ويواجهون هبوط الأرواح وكلل العزائم وثقلة المطامع .. وزادهم هو الإيمان ، وعدتهم هى الإيمان . وسندهم هو الله .. وكل زاد سوى زاد الإيمان ينفد . وكل عدة سوى عدة الإيمان تُفلّ ، وكل سند غير سند الله ينهار !

وقد سبق فى السياق الأمر التكليفى للجماعة المسلمة :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[٤] .

أن ينتدب من بينها من يقومون بالدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أما هنا فقد وصفها الله سبحانه بأن هذه صفتها . ليدلها على أنها لا توجد وجودا حقيقيا إلا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية ، التى تعرف بها فى المجتمع الإنسانى . فأما أن تقوم بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر – مع الإيمان بالله – فهى موجودة وهى مسلمة . وأما أن لا تقوم بشىء من هذا فهى غير موجودة ، وغير متحققة فيها صفة الإسلام[٥] .

وأمة تلك وظيفتها ، وذلك دورها : خليقة بأن تتحمل التبعة ، وتبذل التضحية ، فللقيادة : تكاليفها ، وللقوامة : تبعاتها .

ولابد أن تفتن قبل ذلك وتبتلى ؛ ليتأكد خلوصها لله ، وتجردها ، واستعدادها للطاعة المطلقة للقيادة الراشدة[٦] للعالم أجمع .

* * *

(٤) سورة آل عمران : الآيات ١٠٢ – ١٠٥ .
(٥) فى ظلال القرآن ٤/٤٤٧ ، ٤٤٨ .
(٦) نفسه ٤/١٣٢ .

مؤهلات نجاح الأمـة الإسلاميـة

تتحددملامح هذه المؤهلات فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ .

وأنها للأمة الوسط – كما يقول المرحوم سيد قطب – بكل معانى الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو من الوسط بمعناه المادى والحسى .

« أمة وسطا » .. فى التصور والاعتقاد .. لا تغلو فى التجرد الروحى ولا فى الارتكاس المادى . إنما تتبع الفطرة الممثلة فى روح متلبس بجسد ، أو جسد تتلبس به روح . وتعطى لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد ، بلا تفريط ولا إفراط ، فى قصد وتناسق واعتدال .

« أمة وسطا » .. فى التفكير والشعور .. لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ... ولا تتبع كذلك كل ناعق ، وتقلد تقليد القردة المضحك .. إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ؛ ثم تنظر فى كل نتاج للفكر والتجريب ؛ وشعارها الدائم : الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ، فى تثبت ويقين .

« أمة وسطا » .. فى التنظيم والتنسيق .. لا تدع الحياة كلها للمشاعر ، والضمائر ، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب . إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب ، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب وتزاوج بين هذه وتلك ، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان ، ولا تكلهم كذلك إلى وحى الوجدان ولكن مزاج من هذا وذاك .

« أمة وسطا » .. فى الارتباطات والعلاقات .. لا تلغى شخصية الفرد ومقوماته ، ولا تلاشى شخصيته فى شخصية الجماعة أو الدولة ؛ ولا تطلقه

كذلك فردا أثرا جشعا لا هم له إلا ذاته .. إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدى إلى الحركة والنماء ؛ وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه . ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو ، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد فى خدمة الجماعة ؛ وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادما للجماعة ، والجماعة كافلة للفرد فى تناسق واتساق .

« أمة وسطا » .. فى المكان .. فى سرة الأرض ، وفى أوسط بقاعها . وما تزال هذه الأمة التى غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هى الأمة التى تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب ، وجنوب وشمال ، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعا ، وتشهد على الناس جميعا .

« أمة وسطا » .. فى الزمان .. تنهى عهد طفولة البشرية من قبلها ؛ وتحرس عهد الرشد العقلى من بعدها ، وتقف فى الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها ؛ وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى ؛ وتزاوج بين تراثها الروحى من عهود الرسالات ، ورصيدها العقلى المستمر فى النماء ؛ وتسير بها على الصراط السوى بين هذا وذاك .

* * *

وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذى وهبه الله لها : إلا أنها تخلت عن منهج الله الذى اختاره لها ، واتخذت لها مناهج مختلفة ، ليست هى التى اختارها الله لها !! واصطبغت بصبغات شتى ، ليست صبغة الله واحدة منها !! والله تعالى يريد لها أن تصطبغ بصبغته وحدها[7] !!]

وذلك هو السبب الحقيقى : للأزمة الطارئة التى نرسف فى أغلالها .

بيد أنه من نعمة الله تعالى : أنها طارئة ، وبيان ذلك فيما يلى ...

* * *

(٧) المرجع السابق ١٣١/٢ ، ١٣٢ .

أزمـــة طارئـــة

رأينا أن هذه الأمة ما خرجت إلى الوجود بنفسها ، إنما أخرجها رب الوجود ، سبحانه وتعالى ، لحكمة ورسالة ، ومهمة للعالمين ، وفى نفس الوقت : منحها الله تعالى مؤهلات النجاح فى هذه المهمة ، وصفات تبليغ هذه الرسالة .

ولأنها رسالة : رحمة ، وعدل ، وهداية !!

﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾(8) .

كان من الطبيعى ، أن يسهل النجاح فى : نشر لوائها ، وبسط نفوذها ، فى ربوع الدنيا كلها .

بيد أن القائمين على نشرها ، والمكلفين بتبليغها ، بشر ، يعتورهم الخطأ ، ويشوبهم النقص ، وربهم سبحانه وتعالى أعلم بذلك فيهم :

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾(9) ؟!!

فضلا عن : أن الحاقدين لهم كثير ، والكارهين لنجاحهم فى مهمة التبليغ لا ينامون عن الكيد لهم ، والمناوئين لانتشار هذه الرسالة لا يهدأ لهم بال إلا بفشل القائمين على نشرها ، والمكلفين بتبليغها ، فى مهمتهم :

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴾(10) .

وقد شرعت أسنة ، وصوبت سهام ، ودبرت مؤامرات ، وحيكت مكائد ، وأنفقت أموال ، ونظمت دراسات ، وتخصصت معاهد ، وأفنى كثير من الناس أعمارهم .. و .. و .. و .. إلخ .

---

(8) سورة الإسراء : الآية 9 .

(9) سورة الملك : الآية 14 .

(10) سورة التوبة : الآية 32 .

كل ذلك: لصد المسلمين عن النجاح فى مهمتهم، وإضعاف القدرة على تبليغ رسالتهم ، بل : لعزل المسلمين عن وظيفتهم ، وإزاحتهم عن مكانتهم ، وفصلهم عن دورهم الأساسى فى هذه الحياة .

وقد ساعدهم على ذلك : تقاعس من المسلمين فى القرون الأخيرة عن التخلى بمقومات وظيفتهم ، والحفاظ على مؤهلات النجاح فيها ، بسبب من ضعف بشريتهم ، وفتور عزائمهم ، وشدة آلام سهام الأعداء فيهم .

وقد انتج هذا الحال :

بونا شاسعا ، بين ما ينبغى أن يكون لهذه الرسالة ، من : ذيوع وانتشار ، وهيمنة ، وما هو كائن .

بونا شاسعا ، بين ما ينبغى أن يكون لحراس هذه الرسالة ، من : قوة ، ونفوذ ، وتأثير ، وما هو كائن .

بونا شاسعا ، بين ما ينبغى أن يسود العالم ، والعلاقات الدولية ، من : العدل ، والسلام ، والأمن ، والرخا ، وما هو كائن .

إلى غير ذلك .

* * *

كل ذلك مظاهر أزمة طارئة ، سرعان ما تنقشع غيومها ، ويتبدد ظلامها بإذن الله تعالى .

أليس الله سبحانه وتعالى هو القائل :

﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾[١٠] .

أليس الله سبحانه وتعالى هو القائل ؟!!

﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾[١١] .

---

(١١) سورة غافر : الآية ٥١ .

أليس الله سبحانه وتعالى هو القائل ؟!!

﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾(١٢) .

بلى ..!!

* * *

بيد أنه علينا :

أن نتدارس هذه السهام ؛ لنردها - بإذن الله تعالى - إلى نحور أصحابها .

أن نتدارس أوجه قصورنا ؛ لنتلافى هذه العيوب ، ونتحلى بوسائل القوة ، ومؤهلات النجاح ، ومقومات القيادة .

وذلك :

للخروج من هذه الأزمة الطارئة ، والتى سنتحدث فيما يلى عن : أسبابها ، ومظاهرها .

وللوصول إلى النهضة المرجوة ، والتى سوف يوضح البحث - بعون الله تعالى - طريق بلوغها ، والتربع - بإذن الله تعالى - فوق قممها .

---

(١٢) سورة الأنبياء : الآية ١٠٥ .

الباب الأول

الأزمـــة
أسباب ... ومظاهر

* الفصل الأول : عوامل الأزمة ..
* الفصل الثاني : تشرذم المسلمين ..
* الفصل الثالث : تخلف المسلمين ..
* خاتمـــة ..

الفصل الأول

عوامل الأزمـــة

* تقديم ..
* الشيطان ..
* الصهيونية العالمية ..
* الشيوعيون ..
* المستشرقون ..
* المبشرون ..
* الاستعمار ..
* خاتمـــة ..

تقديـــم

وأهم أسباب الأزمة الطارئة ، التى يرسف فى أغلالها المسلمون :

هى : السهام المحيطة بهم .

ونعنى بهذه السهام من أول الأمر : تلكم التى توجه إلى النيل من الإسلام والمسلمين ، من خارج صفوفهم .

وهذه السهام : مصوبة كذلك دائما ، يقظ أهلها دائما ، واضح هدفهم لهم – وإن خفى علينا كثيرا – دائما .

وهى : نشطة ، ومتجددة ، ومتطورة ، ومتقدمة ، ووراءها الجهود ، والإمكانات والدراسات ، سواء أكان ذلك ، أو بعض ذلك ، على المستوى الفردى أم الجماعى ، على المستوى الرسمى أم غير الرسمى ، على المستوى المعلن أم المتخفى .

وهذه السهام كذلك : منها : القديم ظاهرا وباطنا ، أى هى هى وأصحابها هم هم منذ صدر الإسلام ، وحتى يومنا هذا .

ومنها : القديم باطنا ، والحديث ظاهرا ، قد أكسبه التطور التقنى والصناعى فى هذا العصر جدة ، أخفت تحتها باطنا يثور بالحقد والعداء ، ويعمل فى السر والخفاء ، للنيل من الإسلام وأهله .

وأصحاب هذه السهام جميعا :

﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله** ﴾ .

وهذا : هدفهم ، ودأبهم ، وديدنهم ، فى كل عصر ومصر ، مهما تناءت بهم الديار ، أو توالت عليهم الليالى والأيام .

وهى سهام كثيرة .

يطول الحديث فى استقصائها واحصائها ، وكشفها ، وبيان مخططاتها ووسائلها .

وليس هذا مجاله ، وليس بمستطاع فى هذه العجالة نواله .

ومن هنا : سيقتصر الحديث حول بعضها على النحو التالى :

الشيطـــان

نعم الشيطان وأعوانه ، هم العدو الأول ، اللدود ، لبنى الإنسان .

وعداوته : قديمة ، حديثة .

قديمة جدا : منذ أن قال الله تعالى :

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾(١٣) .

قديمة جدا : منذ أن قال له رب العزة :

﴿ يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾(١٤) .

قديمة جدا : منذ أن عاقبه رب العزة ، على هذا الإباء ، والتكبر ، وعدم الامتثال ، إذ قال له :

﴿ فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين * قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون* قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾(١٤) .

قديمة جدا : منذ أن هدد وتوعد لبنى الإنسان ، حينما قال :

﴿ رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط على مستقيم * إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين * وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾(١٤) .

---

(١٣) سورة البقرة : الآية ٣٤ .

(١٤) سورة الحجر : الآيات : ٣٢ - ٤٤ .

وقد كان ..!!

زين الشيطان .. وما يزال .

وأغوى الكثير ، والكثير من بنى الإنسان .. وما يزال .

وأصبح للشيطان : أعوان ، وإخوان ، وأنصار ، وأشياع ، وأذناب وذيول :

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾(١٥) .

وما يزال الشيطان يغوى ، ويزين ، وينفذ وعيده القديم ، وتهديده الدائم .

وما يزال حزبه الذى استحوذ عليه ، يزداد كفرا وعصيانا ونسيانا وتناسيا لذكر الله تعالى .

ولنشاط الشيطان وأعوانه ، القديم ، والحديث ؛ نبه المولى سبحانه وتعالى ، وينبه دائما ، على هذه العداوة ، القديمة والحديثة ، إذ يقول :

﴿ إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ﴾(١٦) .

ولنشاط الشيطان وأعوانه ، القديم والحديث ؛ نبه المولى سبحانه وتعالى ، وينبه دائما ، أحبابه ، وأولياءه الذين هم حزب الله ، على هذه العداوة القديمة الحديثة :

إذ يقول لهم :

﴿ ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾(١٧) .

---

(١٥) سورة المجادلة : الآية ١٩ .

(١٦) سورة الإسراء : الآية ٥٣ .

(١٧) سورة الزخرف : الآية ٦٢ .

ولخطورة الشيطان على أولياء الله تعالى وحزبه ؛ أمر المولى عز وجل : بالحيطة الشديدة منه ، والتنبه الدائم له ، واتخاذه عدوا ، واليقظة الكاملة لمكر هذا العدو ودهائه ، والاستعداد لمواجهة هذا العدو والانتصار عليه .

إذ يقول لهم :

﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾(١٨) .

ولخطورة حزب الشيطان - كذلك - على أولياء الله تعالى وحزبه ؛ أمر المولى عز وجل بقتالهم ، بشتى أسلحة القتال .

إذ يقول :

﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾(١٩) .

ومع ذلك : فالشيطان لا ينى ، ولا يتخاذل ، ولا يهدأ .

فعن جابر : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« يبعث الشيطان سراياه ، فيفتنون الناس ؛ فأعظمهم عنده منزلة : أعظمهم فتنة »(٢٠) .

وأعوانه كذلك : لا يتخاذلون ، ولا يهدأون .

وفوق ذلك : فهو :

« يجرى من ابن آدم مجرى الدم »(٢١) .

فتنة ، وغواية ، واضلالا .

---

(١٨) سورة فاطر : الآية ٦ .

(١٩) سورة النساء : الآية ٧٦ .

(٢٠) رواه : مسلم - كتاب صفات المؤمنين - باب : تحريش الشيطان .

(٢١) رواه : البخارى - كتاب بدء الخلق - باب : صفة إبليس وجنوده .

ولوعورة هذه الحرب ، بين الطائفتين ، الشيطان وحزبه من جانب ، وأولياء الله من الجانب الآخر .

فقد علمنا سبحانه وتعالى الاستعانة به ، واللجوء إليه ، فى هذه الحرب الدائمة ، القديمة ، الحديثة :

حينما قال :

﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾(٢٢) .

وحينما قال :

﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾(٢٣) .

وفوق هذا فقد تكفل ، بالوقوف فى صف أوليائه ونصرتهم فى هذه الحرب ، الدائمة ، القديمة ، الحديثة .

حينما قال للشيطان :

﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾(١٤) .

ولكل هذا :

يجب على أولياء الله سبحانه وتعالى ، وأتباع محمد ﷺ ، اليقظة الكاملة ، والاستعداد الدؤوب لهذا العدو ، الذى حذر المولى منه ، وأمر بمعاداته .

وعلى ورثة الأنبياء – وهم أولى الناس بهذه اليقظة وأحق الناس لهذا الاستعداد ، وأعلمهم ، وأقواهم على هذا العداء ، والانتصار فيه – تبصير الناس بسهام هذا العدو ، وتحذيرهم – دائما – منها .

* * *

---

(٢٢) سورة فصلت : الآية ٣٦ .

(٢٣) سورة المؤمنون : الآية ٩٧ ، ٩٨ .

الذين هم أعدى أعداء الإنسانية ، وهم أشد الأعداء ، عداوة للمسلمين .
للمسلمين .

﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾[٢٤] .

حيث قال سبحانه وتعالى :

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾[٢٥].

فقد قدم فى مجال العداوة وشدتها للذين آمنوا اليهود على الذين أشركوا وكفروا بالله تعالى .

وعداوتهم للذين آمنوا : قديمة ، حديثة .

قديمة جدا ، منذ أن :

﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾[٢٦] .

قديمة جدا ، منذ أن :

﴿ جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين * وإذا

---

(٢٤) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٢٥) سورة المائدة : الآية ٨٢ .

(٢٦) سورة المائدة : الآيات ٧٨ – ٨٠ .

قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ﴾[٢٧] .

قديمة جدا ، منذ أن قال رب العزة للمؤمنين :

﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ﴾[٢٨] .

قديمة جدا ، منذ أن فعلوا ما فعلوا – وهو كثير ، وخطير – مع رسول الله ﷺ .

« وقد وعى التاريخ من ذلك : ما لم ينقطع لحظة واحدة منذ اليوم الأول الذى واجههم فيه الإسلام فى المدينة حتى اللحظة الحاضرة »[٢٩] .

مما يطول الحديث فى استقصائه ، وإحصائه .

وليس هذا مجاله ، وليس بمستطاع – كذلك – فى هذه العجالة نواله .

وهذا العداء كذلك حديث .

فهؤلاء هم اليوم : يدنسون قبلة المسلمين الأولى ، وثالث الرحاب المقدسة ، المسجد الأقصى ، الذى بارك الله حوله .

وهم اليوم يعيثون فى الأرض فسادا وإفسادا حوله ، واعتداءاتهم كل يوم عليه لا تنتهى ولا تخفى .

وهؤلاء هم اليوم : يبيدون شعبا من وطنه ، ويسكتون مآذن من قطعة عزيزة غالية من البلاد الإسلامية .

وهؤلاء هم اليوم : يجعلون أهل هذه الأرض شيعا وأحزابا ، ويستضعفونهم ، فيذبحون أطفالهم ، وشيوخهم ، ونساءهم ، وشبابهم .

---

(٢٧) سورة البقرة : الآيات ٨٩ – ٩١ .

(٢٨) سورة البقرة : الآية ١٠٥ .

(٢٩) ظلال القرآن : ١٦٢٧/٣ .

وهؤلاء هم اليوم : يسيطرون على الساحة العالمية ، الإعلامية والاعلانية ، فيشوهون صورة المسلمين فى المحافل الدولية ، وينشرون منظماتهم ، ويبثون سمومهم ، وتعاليم بروتوكولاتهم ، ويستعدون عليهم أمم الأرض قاطبة .

ولخطورة اليهود على أولياء الله تعالى ؛ أمر المولى عز وجل : بالحيطة الشديدة منهم ، والتنبه الدائم لهم ، واليقظة الكاملة لمكرهم ودهائهم ، والاستعداد لمواجهتهم ، والانتصار عليهم .

إذ يقول :

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ﴾ .

ولهذا :

يجب على المسلمين : اليقظة الكاملة ، والاستعداد الدؤوب لهذا العدو ، الذى أكد المولى سبحانه وتعالى على شدة عداوته ، وقدمها ، وحذر منها .

وعلى ورثة الأنبياء – وهم أولى الناس بهذه اليقظة ، وأحق الناس لهذا الاستعداد ، وأعلمهم بهذا العداء – تبصير الناس بصفة عامة ، والمسلمين بصفة خاصة ، بسهام هذا العدو ، وتحذيرهم – دائما – منها .

وكذلك : التحذير من المحافل التى يستغلونها للهيمنة على الأمم والشعوب ، والسيطرة والايذاء بصفة خاصة على أهل الأديان ، وبصفة أخص على العرب والمسلمين .

ومن هذه التنظيمات والمحافل والأندية : البهائية ، والماسونية ، وأندية : الروتارى ، والليونز ، وغيرها من الجمعيات المشبوهة .

* * *

الشيوعيـــون

وهؤلاء لا يؤمنون بالله ربا ، بل لا يؤمنون بإله أصلا ، ومعبودهم الوحيد : هو المادة .

وهم يعتمدون على إثارة طبقات العمال والفلاحين ضد أصحاب المواهب العقلية ، والملكات الفكرية ، والسبحات الروحية .

وبالجملة : فهم لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، وما البشر عندهم إلا كالأنعام تعيش وتأكل ، وتتناسل ثم تموت كما يموت الحيوان ، وما أشبه الإنسان عندهم بحشرة فى قطيع ضخم من الحشرات .

وما الدين عندهم إلا – كما قال ماركس – أفيون الشعوب .

وما أشبههم بمن قالوا قديما :

﴿ إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾(٣٠) .

وعلى هذا : فلا إله يعبدونه ويخشون لقاءه . ولا حق لغير مبادئهم – عندهم – فى الذيوع والانتشار ولا حق لغيرهم وأتباعهم فى البقاء والحياة .

ومن هنا : فعداوتهم لأهل الأرض قاطبة ظاهرة . وعداوتهم – كذلك – لأهل الأديان منهم – على وجه الخصوص ، بارزة وهى – على وجه أخص – للمسلمين : على قدم وساق .

فهؤلاء هم ينصبون شباك حروبهم ومذاهبهم حول العالم الإسلامى شرقه وغربه ، خارجه وداخله .

---

(٣٠) سورة الأنعام : الآية ٢٩ .

فهم فى أفغانستان : حيث الحرب الدائرة ، بين :

﴿ فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ﴾[٣١] .

لا يشعل نيرانها بحث عن كنوز ، أو تنقيب عن بترول ، ولا يؤجج أوارها، ويعلى لهيبها ، إلا الرغبة فى إخماد صوت الدين فيهم ، واقتلاع جذور الإسلام منهم ، أو اقتلاع جذورهم وفروعهم من الإسلام .

وهؤلاء هم فى شرق آسيا : وحصارهم الدائم للأقليات الإسلامية .

وهؤلاء هم فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، رابضون مرابطون ، بكفرهم ، وأسلحتهم ، رغبة فى النيل من الإسلام ، والمسلمين .

وهؤلاء هم يشرعون سهامهم من داخل صفوفنا ، ويتزيا أتباعهم ، بالأزياء الإسلامية ، ويتسمى أشياعهم بالأسماء الإسلامية .

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله ﴾ .

* * *

ولخطورة الشيوعيين على أولياء الله تعالى ، كما هو واضح من تأكيد المولى سبحانه وتعالى على بيان عداوتهم لنا ، حيث يقول :

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ .

يجب على المسلمين : اليقظة الكاملة ، والاستعداد الدؤوب لهذا العدو ، الذى أكد المولى سبحانه وتعالى على شدة عداوته ، وحذر منها .

وعلى ورثة الأنبياء – وهم أولى الناس بهذه اليقظة ، وأحقهم لهذا الاستعداد ، وأعلمهم بهذا العداء – تبصير المسلمين بسهام هذا العدو ، وتحذيرهم – دائما – منها .

* * *

---

(٣١) سورة آل عمران : الآية ١٣ .

المستشرقـــون

وهؤلاء قوم من المثقفين بالثقافات الرفيعة العالية ، أرادوا دراسة الإسلام ، دراسة : علمية ، دقيقة عميقة ، رغبة فى تصيد الشبهات منها ، والوصول إلى الثغرات من خلال أقوال المنحرفين ، والغلاة ، والمتعصبين ، لتجسيمها والنفخ فيها ، وإذاعتها ، واتخاذها وسيلة للتشكيك فى الإسلام وصدقه ، وكونه من عند الله تعالى ، باسم البحث العلمى ، وهو زور وبهتان ، وكلمة حق يراد بها باطل .

وبدأ الاستشراق - كما يقول نجيب العقيقى - أكثر ما يكون ، تنظيما وانتشارا واستمرارا ، بالفاتيكان : باباوات وأساقفة ، ورهبانا .

وذلك : لغايات منوعة ، بوسائل متعددة ، فى أرجاء واسعة .

ومن ذلك : الرد على البروتستانتية بعد انفصالها عنهم .

ثم لتخريج أهل جدل ، يقارعون فقهاء المسلمين ، ويردون عليهم ببراهين من كتبهم أنفسهم .

ثم لتدريب أدلاء يتخاطبون بالعربية للقيام على خدمة الحجاج من أصقاع العالم إلى الأراضى المقدسة ، والعناية بعابرى السبيل .

ثم لتحقيق الكتاب المقدس(٣٢) .

وإن الواجب يحتم علينا ، أن نعترف لبعضهم بالاهتداء لنور الله سبحانه وتعالى ، ودخوله فى الإسلام ، بدل العداء الذى كان يهدف إليه ، ويعمل من أجله ، وقليل ما هم .

ووسائل المستشرقين للوصول إلى هدفهم تكتسى بالجدة ، والدقة .

وهم منتشرون فى معظم البلاد الأوربية .

---

(٣٢) المستشرقون : ١/١٠٤ ، ١٠٥ .

« فهم فى : فرنسا ، وإيطاليا ، وانجلترا ، وأسبانيا ، والبرتغال ، والنمسا ، وهولندا ، وألمانيا ، وبولونيا ، والدانمرك ، وسويسرا ، والسويد ، والمجر ، وروسيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وبلجيكا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفنلندا ، ورومانيا ، ويوغوسلافيا .

وهم كذلك فى : لبنان ، حيث المدرسة المارونية .

ولهم فى كل بلد من هذه البلاد : المدارس ، والمعاهد ، والكليات .

وفى كل مدرسة من هذه المدارس : كراسى لدراسة اللغات الشرقية ، ومكتبات شرقية ، ومطابع ، ومتاحف ، ومجلات وأساتذة ، ومستشرقون .

وهناك فوق كل ذلك : المستشرقون الرهبان .

ومنهم :

الرهبان البندكتيون .

الرهبان الفرنسيسكانيون .

الرهبان الكبوشيون .

الرهبان الكرمليون .

الرهبان الدومينكيون .

الرهبان البيض .

الرهبان اليسوعيون »[٣٣] .

---

(٣٣) للتوسع : انظر : المستشرقون (ثلاثة أجزاء) نجيب العقيقى .

ويكشف لنا الدكتور محمود الطناحى جانبا من اهتمامهم بالإسلام ، وتعدد حيلهم – فى تحقيق التراث ونشره – فيقول :

«اهتم المستشرقون بجمع واستقصاء مخطوطات الكتاب المراد تحقيقه ، وبذل أقصى الوسع فى ذلك وقد أعانهم على ذلك قناصلهم وسفراؤهم فى بلدان العالم ، وهؤلاء القناصل والسفراء لم يكونوا يقبعون فى مكاتبهم للأعمال السياسية فقط ، بل كانوا يقومون بنشاط ثقافى واسع ، تداخلت فيه النوايا والمقاصد ، كما أعانهم على ذلك أيضا ؛ المعاهد العالمية التى أقاموها فى بلدان العالم العربى والإسلامى ، مثل : المعهد الفرنسى بالقاهرة ، ودمشق ، والمعهد الألمانى للآثار فى أستانبول ، والقاهرة ، وبيروت ، ثم الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، وبيروت .

وأيضا : فقد كان لرحلاتهم المتكررة إلى بلاد العرب ، وتولى بعضهم إدارة دار الكتب المصرية ، والتدريس فى الجامعة المصرية آنذاك ، كان لذلك كله أثر ظاهر فى جمع المخطوطات ، والإفادة من علماء تلك البلاد ، إضافة إلى ما كانوا يستثمرونه من عقد مؤتمرات الاستشراق ، التى كانوا يدعون إليها كبار العلماء العرب والمسلمين »(٣٤) .

ومن هذا الجانب وغيره ، فعلوا ما فعلوا ، وصوبوا للمسلمين وللإسلام من السهام ما صوبوا ، خدمة لأهدافهم ، وتحقيقا لمآربهم .

هذا ..

ولخطورة المستشرقين على المسلمين وبلاد المسلمين ، كما هو واضح من مثابرتهم على البحث العلمى الجاد ، بهدف دراسة الإسلام لهدمه ، والنيل من أهله :

---

(٣٤) د . محمود الطناحى : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى ص ٢٢٠ .

يجب على المسلمين : اليقظة الكاملة ، والاستعداد الدؤوب الواعى ، لهذا العدو ، الذى يعادى الله سبحانه وتعالى ، ويدس السم فى الدسم ، مكيدة لعباده ، ونيلا منهم ، وإيذاء لهم .

وعلى ورثة الأنبياء – وهم أولى الناس بهذه اليقظة ، وأحق الناس لهذا الاستعداد ، وأعلمهم بهذا العداء – تبصير المسلمين بسهام هذا العدو ، وتحذيرهم – دائما – منها .

* * *

المبشـــرون

ونعنى بهم : المنصرين .

وهؤلاء منتشرون فى أنحاء العالم ، وبخاصة العالم الإسلامى ، ويهدفون فى الدرجة الأولى : إلى صرف المسلمين عن دينهم .

ويعتمدون فى أعمالهم على دراسات المستشرقين ، التى تعتبر : الكشافات المضيئة لسيرهم ، والتوجيهات السديدة ، لأعمالهم ، والتخطيطات الموصلة للنجاح فى أهدافهم .

وذلك واضح غاية الوضوح فى أعمال مؤتمراتهم العديدة .

مثل(٣٥) :

مؤتمر التبشير الأول المنعقد فى القاهرة أبريل سنة ١٩٠٦ م (مصر) .

مؤتمر التبشير الدولى : مؤتمر أدنبرة المنعقد فى القاهرة يونيو سنة ١٩١٠ (مصر) .

مؤتمر التبشير الثانى المنعقد فى أدنبرج سبتمبر سنة ١٩١٠ م (انجلترا) .

مؤتمر التبشير الثالث المنعقد فى لكهنؤ يناير سنة ١٩١١ (الهند) .

ولهم : ميزانيات ضخمة ، ووسائل عديدة ، تحقق لهم الوصول إلى أهدافهم وأغراضهم .

سواء أكان ذلك قديما أم حديثا .

ولنرجع إلى الوراء قليلا بخصوص هذه الميزانيات .

لنعرف - أولا - الانفاقات الهائلة التى تنفق لهذا الغرض منذ أمد بعيد .

---

(٣٥) للتوسع انظر : الغارة على العالم الإسلامى ، الوثيقة .

ولنعرف - ثانيا - مدى التطور ، والزيادة الهائلة التى وصلت إليها هذه الانفاقات فى عصرنا هذا .

ونأخذ المثال لذلك بما عرض فى واحد من هذه المؤتمرات ، وهو مؤتمر (لكهنؤ - الهند) ، الذى انعقد فى الفترة من ٢١ يناير ١٩١١ م حتى يوم ٢٩ يناير ١٩١١ م .

وأخص مما عرض فى هذا المؤتمر فقط :

التنظيم المادى (لجمعية التبشير والكنيسة الانجليزية) .

وهى : أهم جمعية بروتستانتية ، وقد مضى على تأسيسها - وقت المؤتمر - ١١٠ من السنين ، ويدير أعمالها (١٤٥) أسقفا ينوبون عن الرئيس ، وهو أسقف كنتر بورى الإنجليزى .

وقد كانت إيراداتها سنة ١٧٩٩ م خمسة وعشرين ألف فرنك .

وقد بلغت سنة ١٩١٠ م عشرة ملايين من الفرنكات .

وهذا غير المبالغ الهامة : التى ترد عليها وتصرفها فى سبيل التبشير ، من غير تدوين فى سجلات صندوق الجمعية .

يقول رئيس المؤتمر : «ومن مراجعة التقارير التى نشرتها هذه الجمعية سنة ١٩٠٦ م ، اتضح لنا :

أن مجموع الاكتتابات والايرادات التى وردت على الجمعية فى هذه السنة من البلاد الإنجليزية فقط ٢٢٨,٥٢٩ جنيها .

وبلغت الإيرادات الأخرى ١٠٠ ألف جنيه ، وهى مؤلفة من : الاكتتابات التى ترد إليها من البلاد الأجنبية ، ومن المبالغ التى يجمعها المبشرون ، ولها فروع عديدة لجمع النقود ، لا تقع تحت حصر » .

ثم يقول :

«ولإدارة هذه الجمعية أهمية كبرى : تظهر لنا من مراجعة النفقات التى تتكبدها ، وهى التى أنفقت سنة ١٩٠٦ م على النحو التالى :

مبلغ ٥٨٤ ١٦ جنيها ، فى سبيل إدارة أمورها .

ومبلغ ٥٨٤ ٢٧ جنيها ، فى سبيل تحصيل الاكتتابات والإيرادات .

وقد كانت إيرادات هذه الجمعية فى السنة الماضية هى ٦١٥ ٤٠٣ جنيها .

ونفقاتها : ١١٣ ٣٩٤ جنيها .

وبلغ ما أنفق على الأعمال التبشيرية ٣٢٥ ٠٠٠ جنيه .

منها ٣٥.٠٠٠ جنيه صرفت للمبشرين الموجودين فى غير البلاد الإسلامية.

فيكون جميع ما تنفقه هذه الجمعية كل سنة للتحكك بالإسلام (هكذا) ٧ ٥٠٠ ٠٠٠ من الفرنكات .

وهى موزعة كما يأتى :

٢١ ٥٢١ جنيها لأفريقية الشرقية .

٣٣ ٠٤٨ جنيها لأفريقية الغربية .

٦ ٢٣٤ جنيها للتبشير فى القطر المصرى .

٨٢ ٢٤٧ جنيها للبلاد العربية ، والعثمانية ، والفارسية .

٨٤٦ ١٢٢ جنيها للهند .

٥١ ٦١١ جنيها للصين .

وقد قالت هذه الجمعية فى تقريرها عن سنة ١٩١١ م : أن أعمال التبشير فى البلاد الإسلامية ، ما زالت صعبة ، وعرضة للنفقات الجسيمة ، إلا أن نتائج أعمالها أخذت تظهر للعيان »[٣٦] .

هـــذا ..

ولتمام المقارنة ، ومعرفة القفزات العظيمة ، فى هذا المجال ، نعرض لميزانيتهم حديثا ، هذا العام ١٩٨٥ م .

(٣٦) الغارة على العالم الإسلامى ص ٨٤ ، ٨٥ .

والتي قدرت – كما يقول أمين اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر – بمبلغ ٣ آلاف مليون دولار .

منها : أكثر من ألف مليون دولار لأفريقيا فقط .

ثم يقول د . عبد الودود شلبى ، أمين اللجنة المذكورة :

«إن هناك ١٠ مليارات دولار رصدت لتخريب العالم الإسلامى » .

وقال – فيما نشرته جريدة الأخبار – أن حملات التبشير تسود العالم ، وعددها ٢٥٠ ألف مبشر ، بالإضافة إلى تخصيص ١٠ أفراد كمعاونين لكل مبشر ، حتى بلغ عدد الذين يعملون فى قطاع التبشير أكثر من ٢,٥ مليون فرد[٣٧] .

بيد أنه – بخصوص عدد المبشرين طلعت علينا (جريدة المسلمين الدولية) بهذا العنوان فى صفحتها الأولى : (استنفار تبشيرى فى أوربا – خطة لتنصير ١٠ ملايين عربى يعيشون فى الخارج – منظمة التبشير العالمية ١٧ مليونا يعملون فى مجال التبشير) .

وتحت هذا العنوان : أعلنت قيادات المنظمة العالمية للتبشير ، بدء خطة موسعة للعمل ضد الإسلام فى أوربا ، وفى عقر ديار المسلمين .

قال روى جورج ، رئيس المنظمة : «... أن عدد مسيحيى العالم تجاوز ٨٥٠ مليون نسمة ، ونسبة المبشرين المخصصين للدعوة ضد الإسلام : لا تزيد عن ٢٪ ، وهى نسبة ضئيلة – على حد قوله – « ١٧ مليون مبشر » ..»[٣٨] .

---

(٣٧) انظر : جريدة الأخبار عدد (١٠٢٣٢) الصادر فى ٥ مارس ١٩٨٥ ص ٤ .

(٣٨) انظر : (جريدة المسلمين الدولية) عدد ١١ السبت ٣٠ رجب ١٤٠٥ هـ – ٢٠ أبريل ١٩٨٥ م ، ص ١ ، ٧ .

وعن وسائلهم :

فمنها : المعاهد العلمية ، والمنشآت الصحية ، إلى جانب المكتبات ، والجمعيات الثقافية ، والإرساليات التبشيرية ، واستغلال الصحافة ورجالها ، والإذاعة وانتشارها .

بل دخل ضمن وسائلها فى الوصول إلى أهدافها أخيرا : الفيديو .

«ففى انجلترا : قفزت كنيسة انجلترا قفزة متواضعة فى عصري الفيديو ، بتركيب أجهزة فيديو ، لمساعدة الأبرشيات فى الاستفادة من وسائل الاتصال الوحيدة ، التى يطمئن إليها بعض الناس .

فقد وافق المجمع المقدس العام على صرف مبلغ ٧٥ ألف جنيه ، خلال الأعوام الثلاثة المقبلة ، لا لتحضير أفلام ، بل لفهرسة موادِ الفيديو ، المتوفرة ، ولتوجيه الأبرشيات ، لتخير المناسب من أفلام الفيديو » .

وعن بعض أساليبهم فى التبشير : إليك عزيزى القارىء هذا الخبر :

«أقامت منظمة الكنائس الفيلبينية ، جامعة تبشيرية ، فى مدينة – كوتباتو – ومهمة هذه الجامعة ، هى : شن حملات تبشيرية على المسلمين .

وجدير بالذكر : أن أسلوب الاستيطان النصرانى فى جنوب الفلبين ، مثل أسلوب الاستيطان اليهودى فى فلسطين المحتلة تماما .

فكما أن اليهود ، سموا فلسطن العربية الإسلامية : الأرض الموعودة .

فقد سمى النصرانيون الفليبينيون أيضا بلاد المسلمين : بالأرض الموعودة .

وقد أسس المستوطنون النصرانيون صحيفة أسبوعية كان شعارها : خارطة بلاد المسلمين ، وضع عليها صليب غطى الخارطة شرقا وغربا ويمينا وشمالا .

ما يؤكد هدفهم السيء ، وهو : القضاء على الإسلام والمسلمين فى جنوب الفلبين ، وتحويل البلد الإسلامى إلى بلد نصرانى »[٣٨] .

ولخطورة المبشرين – أعنى المنصرين – على أولياء الله تعالى ، على المسلمين ، وبلاد المسلمين .

كما هو واضح من نشاطهم ، وأهدافهم ، وسعيهم بالفساد والافساد .

يجب على المسلمين : اليقظة الكاملة ، والاستعداد الدؤوب لهذا العدو ، الذى يعادى الله سبحانه وتعالى ، ويكيد لعباده الشر والاضلال .

وعلى ورثة الأنبياء – وهم أولى الناس بهذه اليقظة ، وأحقهم لهذا الاستعداد ، وأعلمهم بهذا العداء – تبصير المسلمين بسهام هذا العدو ، وتحذيرهم – دائما منها –.

* * *

الاستعمـــار

وهو اسم على غير مسمى ، بل الاسم الحقيقى له ، الذى ينبغى أن يتسمى به ، ويعرف عنه ، هو : الاستخراب .

وهو شر مستطير ، وعدو لدود ، سواء أكان فى صورته القديمة ، أم فى صورته الحديثة .

ونعنى بصورته القديمة : الصورة العسكرية .

وتاريخ المسلمين : يحفل منه وله ، بالذكريات الأليمة ، وبالليالى السود ، وبالأيام النكدات .

ومن الأمثلة البارزة فى هذا المجال :

تجمعه بعدده وعدته ، فى معركة شرسة مع المسلمين ، عام (٥٣٨ هـ - ١١٨٧ م) فى موقعة حطين .

وكان هدفه : المسير إلى المدينة المنورة ، ثم إلى مكة المكرمة - بعد أن ظل بيت المقدس بأيديهم إحدى وتسعين سنة - وذلك لتخريبهما[٣٩] .

ولم يردع فجورهم ، ويكسر شوكتهم ، ويحول دون تحقيق أمنيتهم ، بل زاد على ذلك : استرداد بيت المقدس من أيديهم : إلا البطل الربانى ، والقائد المسلم : صلاح الدين الأيوبى .

وأيضا : الموقعة الكبرى بالأندلس ، عام (٧١٩ هـ - ١٣٩١ م) .

وفيها : تجمع الفرنج ، وأقبلوا فى مائة ألف ويزيدون ، وأحاطوا بغرناطة ، وكان عدد المسلمين أربعة آلاف ونصف تقريبا .

ووقعت المعركة .

---

(٣٩) انظر : الكامل فى التاريخ ١٧٨/٩ ، دول الإسلام للذهبى ٩٤/٢ .

وكانت ملحمة – كما يقول المؤرخون – فى الإسلام ، لم يعهد مثلها[٤٠] .

بالرغم من هذا وكثير غيره : فشلوا فى القضاء على الإسلام .

وكان هذا الفشل دافعا للاتجاه الشديد إلى التبشير ، كما يصرح بذلك (المستر أدوين بتس) البروتستانتى ، فى كتابه (مشروع التبشير) إذ يقول : «إن ريمون لول الأسبانى ، هو أول من تولى التبشير ، بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها ، فتعلم لول اللغة العربية بكل مشقة ، وجال فى بلاد الإسلام ، وناقش علماء المسلمين فى بلاد كثيرة»[٤١].

وليس ببعيد عنا ما قام به المستعمر فى تقويض دولة الخلافة ، وفى تقسيم العالم الإسلامى إلى دويلات ، تقاسموها فيما بينهم ، وجعلوها تحت وصايتهم وحمايتهم وأمرتهم .

ولم تنته هذه الصورة إلا بعد تخريبهم للعالم الإسلامى ، وتفتت وحدته ، وتقويض أركانه ، واقناع شعوبه وسكانه بما فعلوه من : حدود وهمية ، وتقسيمات شكلية ، جعلت المسلم بعيدا غريبا عن أخيه المسلم ، بل عدوا محاربا له ، بسبب من هذه التقسيمات ، وأحيانا عليها .

وقد مكن هذا الوضع المبشرين من التطلع إلى مزيد من النجاح فى عمليات التنصير ، التى يقومون بها بين المسلمين .

ولنأخذ مثالا لذلك : بما قاله القس زويمر فى المؤتمر التبشيرى الثالث المنعقد فى لكهنؤ بالهند سنة ١٩١١ م .

قال[٤٢] : «إن عدد المسلمين يزيد قليلا على ٢٠٠ مليون .

وذلك : متوسط الاحصائيات التى يتراوح تقدير المسلمين فيها بين ١٧٥ مليونا و٢٥٩ مليونا[٤٣] .

---

(٤٠) الذهبى : دول الإسلام ٢/٢٢٧ .

(٤١) الغارة على العالم الإسلامى ص ١٢ ، ١٣ .

(٤٢) الغارة على العالم الإسلامى ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٤٣) لاحظ أن المتوسط هو ٢١٧ مليون ، وليس كما أراد وكتب آنذاك .

ثم قال عن الانقلابات السياسية[٤٤] التى حدثت أخيرا فى العالم الإسلامى :

«نشكر الله على حدوث هذه الانقلابات فى غرب آسيا ، التى كانت موجبة للاعجاب والاستغراب ، وبددت معالم التجسس ، وأقامت الحرية على أنقاض الاستبداد» .

ثم يقول :

وإن احتلال الجيش الفرنساوى لمقاطعة (واداى) فى أفريقية[٤٥] فى العام الماضى : أهم حادث سياسى فى هذا العصر .

لأن (واداى) كانت أهم مركز فى أفريقية للاتجار بالرقيق ، وانتشار الإسلام .

وعلى ذلك :

فإن هذا المركز : أصبح تحت سلطة أوربية ، تحتفظ بها مهما كلفها ذلك .

وهذه الحادثة جعلتنا فى مأمن من أن تكون (واداى) بعد الآن مركزا للحركات الحربية ، ضد الحكومات النصرانية .

وهى أيضا : ستقلل نفوذ مشايخ الزوايا السنوسية ؛ بحيث لا يستطيعون الوقوف فى طريق التقدم الاستعمارى والتجارى فى الإسلام .

ثم يقول كذلك :

والآن – أى سنة ١٩١١ م – لم يبق غير ٢٧,١٢٨,٠٠٠ مسلم تحت سلطة حكومات إسلامية – أى من المتوسط السابق – وهو ٢٠٠ مليون .

---

(٤٤) يقصد الاستعمارية .

(٤٥) سلطنة سابقة ، فرضت فرنسا عليها الحماية سنة ١٩٠٣ م ، وصارت جزء من أفريقيا الاستوائية الفرنسية ١٩٠٩ م . انظر : الموسوعة الثقافية ص ١٠٤٦ ، مطابع دار الشعب ١٩٧٢ م .

وانتقلت السلطة السياسية على أكثرية المسلمين من يد الخلافة الإسلامية ، إلى يد انجلترا ، وفرنسا ، وروسيا ، وهولندا .

وعدد الذين تحت سلطة كل واحدة من هذه الدول : يفوق عدد المسلمين الموجودين فى كل أرجاء السلطنة العثمانية .

وأن عدد المسلمين الذين تحت سلطة الدول النصرانية : سيزداد كثيرا ، عقب انقلابات قريبة الحصول .

وبذلك – والكلام لا يزال للقس زويمر رئيس المؤتمر – تزداد مسئولية الملوك النصارى فى مهمة تنصير العالم الإسلامى(٤٦) .

* * *

أما عن صوره الحديثة : فقد كان تحوله إليها ، وارتداؤه لثيابها ؛ بفضل من يقظة الشعوب ، وصحوة الأمم .

وفى هذه الصور : اتجه إلى غزو العقول والأفكار ، بدل غزو البلاد ، واحتلال الأراضى .

واعتمد فى هذه المرحلة الجديدة على :

(أ) نتاج المستشرقين .

(ب) جهود المبشرين .

(ج) الارعاب الفكرى لدول العالم الإسلامى ، عن طريق : التفوق فى سباق التسلح ، الشرير ، المجنون .

(د) التفوق الصناعى الهائل ، فى مستحدثات العصر ، ومنجزات التكنولوجيا .

(هـ) التفوق الزراعى الهائل ، الذى أعطاهم سلاحا جديدا ، وهو ما يسمى فى الأعراف والمحافل الدولية : بالسلاح البارد ، وهو سلاح الغذاء .

---

(٤٦) الغارة على العالم الإسلامى ، ص ٦١ ، ٦٢ .

(و) فرض السيطرة الفكرية ، على شعوب الأمة العربية ، والعالم الإسلامى ، ومحو الشخصية العربية ، والهوية الإسلامية ، عن طريق :

غسل المخ ، والتشويه الفكرى : للكثير من أهل بلادنا الذين يدرسون فى معاهدهم وكلياتهم ، بمجالات الدراسة العديدة المتنوعة .

ثم ...

شراء الأقلام المنحرفة ، والنفوس الضعيفة ، والألسنة المسمومة ، من أصحاب الضمائر المريضة ، التى تنتسب للإسلام ، فى كثير من البلاد العربية ، وما هى من الإسلام فى قليل ولا كثير(٤٧) .

الترويج فى البلاد العربية والإسلامية لكثير من المذاهب الفلسفية المنحرفة ، التى يخدع بعض المثقفين بأساليبها البراقة ، ومنطقها العلمى الزائف ، مثل : الوجودية ، والوضعية ، البرجماتية ، والعلمانية ، والفرويدية ، والداروينية...إلخ.

الدعاية المكثفة للانحراف ، والطوائف المنحرفة : عقليا ، وجسميا ، مثل : الخنافس ، والهيبز ، واللامعقولية ، والعبث ، ومدارس السخط ، وأفلام العنف ، وأفلام الجنس ، وكل هذا ، فى : قصص ، ومسرحيات ، وأفلام سينمائية ، وأفلام فيديو ، وشرائط كاسيت .

والطامة الكبرى فوق انتشارها : أنها تجد بيننا المروجين لها من رجال الصحافة ، والإذاعة وبعض أساتذة الجامعات(٤٧) .

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾(٤٨) .

* * *

---

(٤٧) انظر : على عبد العظيم : أقلام مسمومة تهاجم الإسلام ص ١٠ ، ١١ .

(٤٨) سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

وهذا زرعهم بيننا : أثمر ، وأينع ، وذاع ، وانتشر ، وعم البوادى والحضر .

دون أن ندرى ، أو نعى هذه الخطورة ، وسوء الأثر !!!

ودون أن ندرى أو نعى : أن الذى دفعهم ويدفعهم إلى ذلك ، هو : حقدهم الدفين ، وعداؤهم الحديث والقديم ، للإسلام والمسلمين !!!

* * *

خاتمـــة

ويطيب لى فى نهاية هذا الفصل أن أنقل حرفيا ما يوضح هدف هذه الفرق التى هي عوامل أزمة المسلمين الحقيقية ، ويكشف خططهم للعمل على زيادة أبعاد هذه الأزمة ، بل للعمل على تدمير الإسلام وإبادة أهله ./

وذلك من كتيب صغير نفيس للأستاذ جلال العالم وهو بعنوان (قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله) .

يقول(٤٩) :

بعد فشل الحروب الصليبية الأولى التى استمرت قرنين كاملين فى القضاء على الإسلام قاموا بدراسة واعية لكيفية القضاء على الإسلام وأمته ، وبدأوا منذ قرنين يسعون بكل قوة للقضاء على الإسلام .

وكانت خطواتهم كما يلى :

أولا - القضاء على الحكم الإسلامى :

بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية ، التى كانت رغم بعد حكمها عن روح الإسلام ، إلا أن الأعداء كانوا يخشون أن تتحول هذه الخلافة ، من خلافة شكلية إلى خلافة حقيقية تهددهم بالخطر .

كانت فرصتهم الذهبية التى مهدوا لها طوال قرن ونصف هى سقوط تركيا مع حليفتها ألمانيا خاسرة فى الحرب العالمية الأولى .

دخلت الجيوش الانجليزية واليونانية ، والايطالية والفرنسية أراضى الدولة العثمانية ، وسيطرت على جميع أراضيها ، ومنها العاصمة استانبول .

ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت انجلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية :

---

(٤٩) انظر : ص ٤١ - ٥٣ .

(أ) إلغاء الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .

(ب) أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

(جـ) أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

(د) أن تختار لها دستورا مدنيا بدلا من دستورها المستمد من أحكام الإسلام .

فنفذ كمال أتاتورك الشروط السابقة ، فانسحبت الدول المحتلة من تركيا .

ولما وقف كرزون وزير خارجية انجلترا فى مجلس العموم البريطانى يستعرض ما جرى مع تركيا ، احتج بعض النواب الانجليز بعنف على كرزون ، واستغربوا كيف اعترفت انجلترا باستقلال تركيا ، التى يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب .

فأجاب كرزون : لقد قضينا على تركيا ، التى لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة فى أمرين : الإسلام ، والخلافة .

فصفق النواب الانجليز كلهم ، وسكتت المعارضة .

ثانيا – القضاء على القرآن ومحوه :

لأنهم يعتبرون القرآن هو المصدر الأساسى لقوة المسلمين ، وبقاءه بين أيديهم حيا يؤدى إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم .

١ – يقول غلادستون : (ما دام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان) .

٢ – ويقول المبشر وليم جيفورد بالكراف : (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه) .

٣ – ويقول المبشر تاكلى : (يجب أن نستخدم القرآن ، وهو أمضى سلاح فى الإسلام ، ضد الإسلام نفسه ، وحتى نقضى عليه تماما يجب أن نبين

للمسلمين أن الصحيح فى القرآن ليس جديدا وأن الجديد فيه ليس صحيحا) .

٤ - ويقول الحاكم الفرنسى فى الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها : (يجب أن نزيل القرآن العربى من وجودهم .. ونقتلع اللسان العربى من ألسنتهم ، حتى ننتصر عليهم) .

وقد أثار هذا المعنى ذكر حادثة طريفة جرت فى فرنسا من أجل القضاء على القرآن فى نفوس شباب الجزائر ، إذْ قامت فرنسا بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات : أدخلتهن الحكومة الفرنسية فى المدارس الفرنسية ، وألبستهن الثياب الفرنسية ، ولقنتهن الثقافة الفرنسية ، وعلمتهن اللغة الفرنسية ، فأصبحن كالفرنسيات تماما .

وبعد أحد عشر عاما من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعى إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون .. ولما ابتدأت الحفلة ، فوجىء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامى الجزائرى .

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت : ماذا فعلت فرنسا فى الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاما !!؟؟

أجاب لاكوست ، وزير المستعمرات الفرنسى : (وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا) ؟!!!

ثالثا - تدمير أخلاق المسلمين ، وعقولهم ، وصلتهم بالله وإطلاق شهواتهم :

١ - يقول مرماديوك باكتول :

(إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم فى العالم الآن بنفس السرعة التى نشروها بها سابقا .

بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول ، لأن هذا العالم الخاوى لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم) .

٢ - ويقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير فى مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥ :

(إن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست فى إدخال المسلمين فى المسيحية ، فإن فى هذا هداية لهم وتكريما .

إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية ، لقد هيأتم جميع العقول فى الممالك الإسلامية لقبول السير فى الطريق الذى سعيتم له ، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام ، إنكم أعددتم نشأ لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، أخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالى جاء النشء الإسلامى مطابقا لما أراده له الاستعمار ، لا يهتم بعظائم الأمور ، ويحب الراحة ، والكسل ، ويسعى للحصول على الشهوات بأى أسلوب حتى أصبحت الشهوات هدفه فى الحياة ، فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات .. إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات . أيها المبشرون : إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه) .

٣ - ويقول صموئيل زويمر نفسه فى كتاب (الغارة على العالم الإسلامى) :

إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين : مزية هدم ، ومزية بناء .

أما الهدم فنعنى به انتزاع المسلم من دينه ، ولو بدفعه إلى الالحاد .

وأما البناء فنعنى به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه .

٤ - ويقولون أن أهم الأساليب للوصول إلى تدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلمانى .

(أ) يقول المبشر تكلى : (يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربى العلمانى ، لأن كثيرا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية) .

(ب) ويقول زويمر : (ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلابد أن ننشىء لهم المدارس العلمانية ، ونسهل التحاقهم بها ، هذه المدارس التى تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب) .

(جـ) يقول جب : (لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية ، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت فى طقوس محددة ، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا عن غير وعى وانتباه ، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد ، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه ، لكن نجاح هذا التطوير يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء فى العالم الإسلامى ، وعلى الشباب منهم خاصة . كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمى والثقافى العلمانى) .

رابعا – القضاء على وحدة المسلمين :

١ – يقول القس سيمون :

(إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التخلص من السيطرة الأوربية والتبشير عامل مهم فى كسر شوكة هذه الحركة ، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية) .

٢ – ويقول المبشر لورنس براون :

(إذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية ، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا ، أو أمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له .

أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير) .

ويكمل حديثه :

(يجب أن يبقى العرب والمسلمين متفرقين ، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير) .

٣ – ويقول أرنولد توينبى فى كتابه (الإسلام والغرب والمستقبل) :

(إن الوحدة الإسلامية نائمة ، لكن يجب أن نضع فى حسابنا أن النائم قد يستيقظ) .

٤ - وقد فرح غابرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا حينما انحل رباط تونس الشديد بالبلاد الإسلامية ، وتفلتت روابطه مع مكة ، ومع ماضيه الإسلامى ، حين فرض عليه الفرنسيون فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية .

٥ - من أخطر ما نذكره من أخبار حول هذه النقطة ما يلى :

فى سنة ١٩٠٧ عقد مؤتمر أوربى كبير ، ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذى قال فى خطاب الافتتاح :

(إن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء ، والواجب يقضى علينا أن نبحث فى هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا) .

واستمر المؤتمر شهرا من الدراسة والنقاش .

واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التى يمكن أن تقضى على الحضارة الغربية الآفلة ، فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربا .

وأخيرا قرروا إنشاء قومية غربية معادية للعرب والمسلمين شرق قناة السويس ، ليبقى العرب متفرقين .

وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التى كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين .

خامسا - تشكيك المسلمين فى دينهم :

فى كتاب (مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين) يقول مؤلفه :

(إن المسلمين يدعون أن فى الإسلام ما يلبى كل حاجة اجتماعية فى البشر ، فعلينا نحن المبشرين أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية) .

تنفيذا لذلك وضعت كتب المستشرقين المتربصين بالإسلامن ، التى لا تجد فيها إلا الطعن بالإسلام ، والتشكيك بمبادئه . والغمز بنبيه محمد ﷺ .

سادسا – إبقاء العرب ضعفاء :

يعتقد الغربيون أن العرب هم مفتاح الأمة الإسلامية يقول مورو بيرجر فى كتابه (العالم العربى) .

لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعنى قوة الإسلام فليدمروا العرب ليدمروا بتدميرهم الإسلام .

سابعا – إنشاء ديكتاتوريات سياسية فى العالم الإسلامى :

يقول المستشرق و . ك . سميث الأمريكى ، والخبير بشئون الباكستان :

(إذا أعطى المسلمون الحرية فى العالم الإسلامى ، وعاشوا فى ظل أنظمة ديمقراطية ، فإن الإسلام ينتصر فى هذه البلاد ، وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها) .

وينصح رئيس تحرير مجلة (تايم) فى كتابه (سفر آسيا) الحكومة الأمريكية أن تنشىء فى البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية ، وبالتالى الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره .

ولكنهم لا ينسون أن يعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تتفجر .

يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا :

(إن الخطر لا يزال موجودا فى أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التى أنزلناها بهم ، لكنها لم تثبط من عزائمهم) .

ثامنا – إبعاد المسلمين عن تحصيل القوة الصناعية ومحاولة إبقائهم مستهلكين لسلع الغرب :

يقول أحد المسئولين فى وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ أن الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الإسلامى .. (ويتابع) .

فلنعط هذا العالم ما يشاء ، ولنقو فى نفسه عدم الرغبة فى الانتاج الصناعى

والفنى ، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة ، وتحرر العملاق من عقدة عجزه إذا وجد القائد المناسب ، الذى يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام ، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى فى العالم مرة أخرى .

٢ - ويقول جب :

(إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة ، تدعو إلى الدهشة ، فهى تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة فى أمرها ، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة ، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد) .

٣ - قول بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل السابق :

(إن أخشى ما نخشاه أن يظهر فى العالم العربى محمد جديد) .

٤ - قول سالازار ، ديكتاتور البرتغال السابق :

(أخشى أن يظهر من بينهم رجل يوجه خلافاتهم إلينا) .

تاسعا - إفساد المرأة وإشاعة الانحراف الجنسى :

١ - تقول المبشرة آن ميليغان :

(لقد حرصنا أن نجمع فى صفوف كلية البنات فى القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى ، وبالتالى ليس هناك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة) .

ماذا يعنون بذلك : إنهم يعنون أنهم بإخراج المرأة المسلمة من دينها يخرج جميع الجيل الذى تربيه ، ويخرج معها زوجها وأخوها أيضا ، وتصبح أداة تدمير قوية لجميع قيم المجتمع الإسلامى ، الذى يحاولون تدميره وإلغاء دوره الحضارى من العالم .

٢ - حكى قادم من الضفة الغربية أن السلطات الصهيونية تدعو الشباب العربى بحملات منظمة وهادئة إلى الاختلاط باليهوديات وخصوصا على شاطىء

البحر وتتعمد اليهوديات دعوة هؤلاء الشباب إلى الزنا بهن ، وأن السلطات اليهودية تلاحق جميع الشباب الذين يرفضون هذه العروض ، بحجة أنهم من المنتمين للحركات الفدائية .

كما أنها لا تدخل إلى الضفة الغربية إلا الأفلام الجنسية الخليعة جدا ، وكذلك تفتح على مقربة من المعامل الكبيرة التى يعمل فيها العمال العرب الفلسطينيون دورا للدعارة مجانية تقريبا ، كل ذلك من أجل تدمير أخلاق أولئك الشباب ، لضمان عدم انضمامهم إلى حركات المقاومة فى الأرض المحتلة .

وعليه :

فلخطورة هؤلاء الأعداء جميعا – كما رأينا – فى جميع صورهم : القديمة ، والحديثة .

يجب على المسلمين : اليقظة الكاملة ، والاستعداد الدؤوب الواعى لهذا العداء ، الذى لا يهدأ له بال ، ولا يقر له قرار ، إلا فى نجاح مخططاته .

وعلى ورثة الأنبياء – وهم أولى الناس بهذه اليقظة ، وأحق الناس لهذا الاستعداد ، لعلمهم بضراوة هذا العداء – تبصير المسلمين بسهام هؤلاء المعادين ، وتحذيرهم – دائما – منها .

وانتبهوا – جميعا – يا سادة !!!

* * *

الفصل الثاني

من مظاهر الأزمـــة

(ا)

تشرذم المسلمين

* تقديم ..
* المنحرفون ..
* المجاهرون بالفسق ..
* المستغربون ..
* الأدعياء ..
* السذج المتعصبون ..
* تجار الدين ..
* البقية الباقية ..
* خاتمــة ..

تقديـــم

وهذه السهام : التى أوجزنا الحديث عنها ، وهى بعض من كل ، وقطر من بحر عداء ، يزخز بالكيد للإسلام والمسلمين ، ويتربص بهم الدوائر ، رغبة فى : إبادتهم حسب الآمال الغوالى ، والأحلام الوردية ، أو إضعافهم ، على أقل تقدير ، وذلك عند سوء التبدير ، فى تحقيق هذه الآمال والأحلام .

وفيما أرى : أن كثرة هذه السهام ، وطول انتصابها ، وتحفزها - الدائم - واستعدادها ؛ للنيل من الإسلام والمسلمين ، ظاهرة صحية ، وعلامة بارزة على الوجود الإسلامى بثقل مشهود ، على الخارطة العالمية ، وأمارة أكيدة على : صحوة المسلمين ، ويقظتهم - بالرغم من الثياب المهلهلة والمرقعة ، التى يرتدونها فى واقعهم المشاهد ، كما سنشير إليه تحت هذا العنوان - أقول : ويقظتهم فى التمسك بهذا الدين المحارَب، ورغبتهم الجياشة فى : التعارف ، والتناصر ، والتآزر ، والوفاق ، ونبذ الخلاف ، والاعتصام بحبل الله المتين ، يدا ، وقلبا ، وأوطانا ، وشعوبا ، وحكومات ، تصديقا لقول ربهم سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾(٤) .

ومن هنا : فلن يهنأ لأعداء الإسلام بال ، إلا بتحقيق آمالهم الخبيثة .

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾(٥٠) .

ولن يكون .. بإذن الله تعالى وعونه ما يريدون .

---

(٥٠) سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾[٩] .

بيد أنه : مما يؤسف له ، ويحزن عليه ، ويستحق الوقوف طويلا أمامه ، بالدراسة ، والتفحص ، ومعرفة العلل ، ومواطن الداء ، والصدق ، والإخلاص ، والاستعانة بالله تعالى ، فى وصف ناجع الدواء ، والتأنى ، والمثابرة ، والرفق ، فى مراحل العلاج .

أقول : بيد أنه ، مما يؤسف له ، ويحزن عليه ، أن هذه السهام الكثيرة ، النشطة ، التى تهدف إلى النيل من الإسلام والمسلمين ، ما فشلت تماما فى الوصول إلى بعض أهدافها .

فقد زرعت الشك ، وغرست الأحقاد ، وبذرت الفرقة ، وأثارت الضغائن ، وخلخلت تماسك الصف ، وأوهنت هذا الجسد العملاق ، وهلهلت ثيابه ، ومزقت هدوئه ، وفرقت شعوبه ، وأشعلت بينهم النيران ، عداوة ، وحروبا ، واستولت على خزائنه ، ونهبت كنوزه ، وسلبت عقله وفكره ، وباعته الشر والدمار ، وصدرت إليه الفساد والانحلال .

وجعلت أهله شيعا وأحزابا ، يعادى بعضهم البعض ، بل يقاتل بعضهم البعض ، إلا من عصم الله من مكرهم وفكرهم وشرهم ، وقليل ما هم .

ولذا نرى الصف الإسلامى ينقسم فيما نرى - على اتساع رقعته ، وكثرة أعداده - إلى طوائف عديدة - تفضح أزمته ، وتنبىء عن حاجة ماسة سريعة لعلاج ناجع - ونذكر منها على سبيل التدليل والتمثيل ، ما يلى ..

المنحرفون عقليا وجسيما

مثل : الخنافس ، والهيبز ، والعبث ، واللامعقولية ، ومدارس السخط ، وتعاطى المخدرات ،... إلخ .

وآراؤهم كلها ، وأفعالهم بانحطاطها ، تنصب علينا ، وتصدر إلينا ، وتروج بيننا ، فى صورة : قصص ، ومسرحيات ومجلات ، وأفلام ، وفيديو ، ... و... وتهريب .. إلخ .

وقد عَبَر كل ذلك إلى البلاد العربية، والساحة الإسلامية- وهى عنه فى غناء ، وله فى عناد ومقاومة – عن طريق أمثالهم من المنحرفين عقليا وجسميا .

وبكل أسف يمتلك أمثالهم هؤلاء بيننا وعلى الخريطة العربية كلها : التأثير ، والقدرة على الترويج ، لهذا : الانحطاط ، والدمار .

فلهم وجود فى : الصحافة ، والإذاعة ، والتليفزيون ، ومراكز التجمعات الشبابية ، ومؤسسات التربية .

ولهم كذلك – وبكل أسف – وجود فى الجامعات ، ممثل فى بعض أساتذتها وبعض أنظمتها .

وهؤلاء وأولئك : تأثيرهم كبير ، ودورهم خطير ، ينفذون بسمومهم ، عبر الغرائز والشهوات ، واستغلال أعظم الطاقات ، فى شباب البلاد ، عدتها ، وأملها .

وهم : مصدر كل انحطاط خلقى ، ومبعث كل الجرائم التى أخذت تطفو على سطح كثير من البلاد العربية ، وسبب : انعدام الأمن والأمان بين الناس ، وشيوع الرذائل والموبقات .

فهم : المخربون الحقيقيون ، والمدمرون الماكرون ، والمهيمنون على عقول العامة وثقافاتهم ؛ فى خبث ودهاء وخفية .

المجاهـــرون بالفســـق

المجاهرون بالفسق والمعاصى من الشباب الفاشلين ، وهم نتاج الطائفة الأولى ، وثمار غرسها ، وهؤلاء يطلقون لشواتهم العنان ، ويحرصون على العيش فى نطاق غرائزهم البهيمية .

﴿ يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾(٥١) .

ثم يموتون كما تموت العجماوات .

وهم لهذا : يلبون أية دعوة تحررهم من التمسك بالتقاليد الموروثة ، والآداب المرعية ، والقيم المثلى ، والشعائر الدينية ، ولو استطاعوا لتحرروا من : وطنيتهم ، وعقيدتهم ، بل من الانتساب للآباء والأجداد .

وهؤلاء هم : الأرض الخصبة للانحلال والفساد ، وهم الأرقام الوهمية فى عداد المسلمين .

وعن طريقهم ، وعلى أيديهم : تكثر الحوادث ، والجرائم ، وتشيع الفواحش ، ويتهدد أمن البلاد والعباد .

وللحقيقة المؤسفة : هم طاقات معطلة ، وإمكانات مهدرة ، تستفيد بها البلاد ، ويقوى بها العباد ، لو أحسن توجيهها ، واستثمارها .

وهو أمل نفيس .

تحقيقه ليس بالمستحيل .

على أيدى الدعاة ، المهرة ، الصادقين ، المخلصين . وبمساعدة المسئولين ، الغيورين على بلادهم وشعوبهم .

﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾(٥٢) .

---

(٥١) سورة محمد : الآية ١٢ .

(٥٢) سورة فاطر : الآية ١٧ .

المستغربـــون

وهم طائفة من الذين انسلخوا عن عقيدتهم ، وعن وطنيتهم ، وانساقوا وراء المعسكر الشيوعى الشرقى ، أو المعسكر الرأسمالى الغربى ، طمعا فى مغنم ، أو حبا – كما يقول الأستاذ على عبد العظيم – فى منصب ، أو طلبا للشهرة الجوفاء .

ومنهم : من يدعون إلى استعمال العامية بدلا من العربية ، الفصحى ؛ لأنها فى زعمهم : لغة دخلية ومعقدة ، لا تصلح لاستيعاب الحضارة الحديثة(٥٣) .

ومنهم : من يدعون إلى تغيير الأحكام الشرعية – وما أكثرهم – لأن الأحوال تبدلت ، والظروف تغيرت ، بما يقتضى تغيير هذه الأحكام .

ومنهم : من يقاوم بشدة ، ويقف بالمرصاد ، ضد فكرة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وأقول : مجرد (فكرة) ويحاربها بكل الوسائل .

ومنهم : ....

ومنهم : ....

---

(٥٣) أقلام مسمومة : ص ١٢ وكتابنا رسم المصحف الشريف بين المؤيدين والمعارضين ، الفصل الخامس .

الأدعيـــاء

ممن يزعمون أنهم دعاة إسلاميون ، وتصفهم المجلات والجرائد المشبوهة بالمفكر الإسلامى ، أو الكاتب الكبير .

ومنهم - كما يقول الأستاذ على عبد العظيم - من يتطرف فى التجديد ، باسم الإسلام ؛ ليوصف بالتقدمية ، وسعة الأفق ، وحب التجديد ، على حساب الإسلام ، وقد كثر هذا النوع فى أيامنا هذه ، كثرة تستدعى الانتباه ، وتدعو إلى اليقظة والحذر والدفاع .

ومنهم : الجامدون المتحجرون ، الذين يعوقون التقدم الإسلامى ، وازدهار الثقافة الإسلامية .

ومنهم : من يتخذون الطعن فى الحديث الشريف ورجاله ، وسيلة للهدم والتدمير .

ومنهم : من يهاجمون تحجب المرأة ، وبعدها عن العرى والخلاعة والسفور ، وينفون عن الدين صلته بحجاب المرأة وتحشمها[٥٤] .

ومنهم ...

ومنهم ...

ومنهم : من تحركه أيد أجنبية ، لبذر بذور الفتنة .

وهم بهذا جميعا : يصورون الإسلام فى صورة شوهاء لا يعرفها الإسلام .

ومن أخطر المهاجمين للشريعة الإسلامية من هؤلاء وأولئك - كما يقول الأستاذ على عبد العظيم - طائفة نالت قسطا من الثقافة الإسلامية ، فخدعت به

---

(٥٤) انظر : كتابنا (صحوة فى عالم المرأة رد على د . زكى نجيب محمود) ، وانظر : ردنا على حسين أحمد أمين فيما كتبه حول الحجاب - بجريدة النور الإسلامية ، الأعداد ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

أنفسها حتى انخدعت ، ثم تخيلت حتى خالت ، وتوهمت أنها أوتيت من العلم ما لم ينله الأولون والآخرون ، فافتروا على الله الكذب ، خادعين ، أو مخدوعين .

﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾[55] .

وتلقفت أيدى : المستعمرين ، والشيوعيين ، والمستشرقين ، والمبشرين ، أفراد هذه الطائفة ، فأمدتها بالمعونات المادية ، وأفسحت لها المجال فى وسائل الإعلام ، ولها ببعضها صلات خفية وثيقة ، كما حاولت دفعها إلى الصدارة ، بأساليب ملتوية ؛ ليكون صوتها مسموعا ، وتأثيرها قويا ، وفتنتها أشد .

فاندفع أفراد هذه الطائفة فى التهجم على الإسلام باسم الإسلام ، وفى تفسير القرآن بما يناقض القرآن ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، تبعا لأهوائهم ، وتلبية لشهواتهم ، فضلوا .

﴿ وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾[56] .

﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾[57] .

وصدق الله تعالى حيث يقول :

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ﴾[58] ؟

* * *

(٥٥) سورة البقرة : الآية ٩ .

(٥٦) سورة المائدة : الآية ٧٧ .

(٥٧) سورة النمل : الآية ٢٤ .

(٥٨) سورة الجاثية : الآية ٢٣ . انظر : أقلام مسمومة ص ١٤ .

الســـذج المتعصبـــون

وكثرة هؤلاء من المتدينين ، الذين أخذوا من الدين بعض مظاهره ، وتمسكوا ببعض فروعه وتشيعوا لبعض فرقه ، وجهلوا بواطنه وحقائقه ، وتركوا أصوله ، وناصبوا الفرق الأخرى غير فرقتهم العداء ، وحكموا على من عداهم أو خالفهم بالجهل أو التكفير .

ومعظم هؤلاء من : الشباب الطيب ، الباحث عن مرضاة ربه سبحانه وتعالى .

سواء أكان هؤلاء : من المتعلمين أم من الأميين ، من الصناع والحرفيين ، أم من التجار والباعة الجائلين ، من طلبة الجامعات أم من الموظفين ، من الأطباء أم من المهندسين ... إلخ .

بيد أن هؤلاء جميعا – مع توافر حسن النية عندهم ، والثقة لدينا فى إخلاصهم وصدقهم – وقعوا فريسة غالية ، لأدعياء : أساءوا توجيههم ، وخبثاء : استغلوا تدينهم ، وجمعيات بل جماعات : فرقت بينهم ، وبددت شملهم ، ومزقت وحدتهم ، وزرعت العداء بين صفوفهم .

وشغل أكثرهم بظواهر الدين ، بدل عمارتهم للكون ، وقبع كثير منهم خلف هذه الظواهر – ولا استخف بهم – ظنا منهم أن هذا هو التدين الحقيقى ، بدل انطلاقهم بعقول وثابة ، وابتكارات بناءة ، وتفوق فى مجالات الحياة ، إحرازا لتقدم المسلمين ، وتحقيقا لأمر الله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾.

سواء أكانت هذه القوة فى المجالات الحربية أم فى الاستخدامات السلمية كالطب ، والزراعة ، والهندسة ، و.. و... إلخ .

وسواء أكانت هذه القوة فى المجالات التركيبية أم فى الأمور الإبداعية ... إلخ ما تستوعبه هذه الكلمة القوية الشاملة :

(قــوة)

وكادت تضيع بهؤلاء : قوة حقيقية من قوى المسلمين ، التى يرنو الإسلام إلى تربيتها .

تربية يحرز بها على أيديهم .

للإسلام : قوة ، وعزة ، وانتشارا .

وللمسلمين : حسن استخلاف الله سبحانه وتعالى على ظهر الأرض .

وللعالم : عدلا ، وأمنا ، وسلاما ، ورخاء .

لا تربية تنتج منهم أو فيهم : ضعفا وخنوعا ، أو عنفا ودمارا ، أو جهلا وانغلاقا وضياعا .. إلخ .

وقديما قالوا :

ضاع الدين بين اثنين :

جاهل متنسك ، وعالم متهتك .

وهذا ينقلنا إلى الفرقة السادسة .

* * *

تجـــار الديـــن

وهؤلاء : طائفة من علماء الدين فى هذه الأمة ، استبدلوا الدنيا بالدين وغرتهم الشهرة والمناصب ، وأنستهم ذكرَ الله الأموالُ والمكاسب .

وصار حالهم : كمن أخبر المولى عنهم ، أنهم :

﴿ يقولون ما لا يفعلون ﴾[٥٩] .

ويفعلون بغير ما يعظون ، ألسنتهم بالموعظة الحسنة بارعة ، وقلوبهم منها فارغة ، وأفعالهم عن الخير بعيدة ، وهممهم دون امتلاك نواصى العلا معقودة .

وهم : من أخطر الطوائف ، وأكثرها ضررا .

إذ يصدق فيهم قول رسول الله ﷺ :

« إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين »[٦٠] .

وقوله ﷺ :

« إن أخوف ما أخاف على أمتى : كل منافق عليم اللسان »[٦١] .

وكذلك يصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾[٦٢] .

ويقول الإمام القرطبى : (وهذه الآية ، وإن كانت فى الأخبار ، فإنها تتناول من المسلمين من كتم الحق ، مختارا لذلك ، بسبب دنيا يصيبها)[٦٣] .

---

(٥٩) سورة الشعراء : الآية ٢٢٦ .

(٦٠) رواه : الترمذى ، كتاب الفتن ، باب : ما جاء فى المضلين .

(٦١) رواه : الطبرانى ، والبزار .

(٦٢) سورة البقرة : الآية ١٧٤ .

(٦٣) الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٣٤ .

وخطرهم نابع من :

أن الخير منهم منشود ، والأمل فيهم معقود ، والاهتداء بهم سنة ، والسير خلفهم مؤد إلى الفلاح فى الدنيا والآخرة .

فإذا انعدم تحقق كل ذلك منهم ..!!

انعدمت الثقة فيهم ، وبطل الأخذ عنهم ، وحرم السير خلفهم ، ودب اليأس إلى النفوس ، واحبطت الهمم ، وفترت العزائم .

وضل الناس – بالتالى – الطريق ، وكثرت الفوضى ، وارتفعت راية الباطل ، وانتشرت المبادىء الهدامة ، وسادت الغواية ، وتمزقت وحدة الصفوف .

وغوى الحاكم والمحكوم .

وشقى الراعى والرعية .

البقيـــة الباقيـــة

وهم : الصالحون ، المطيعون لله تعالى ، فى السر والعلانية .

وهذا صنف يشمل : كل من يراعى حق الله سبحانه وتعالى ، فى علمه ، وعمله .

وسواء أكان هذا العلم : يتصل بالدين ، أم يتصل بالدنيا .

وسواء أكان هذا العمل : يتصل بصالح الفرد ، أم بصالح الجماعة .

وسواء أكان هذا الفرد : حاكما ، أم محكوما .

دون خضوع ، أو تأثر ، بهذه السهام : التى تصوب للنيل من الإسلام والمسلمين .

ودون اعتزاز منه بغير الإسلام ، ورب الإسلام ، وشريعة الإسلام .

ودون انغلاق منه فى فهم هذا الدين ، أو مغالاة ، وافراط فيه .

ودون تجرؤ ، أو تهجم منه فى ذلك ، وتفريط فى تطبيق أوامره ، واجتناب نواهيه .

وهذا الصنف : بفضل الله سبحانه وتعالى ، كثير كثير ، على الساحة الإسلامية ، وإن كان عددهم لا تبدو كثرته لمن يبتغى إحصاءهم .

ذلك : لأنهم يتعاملون فى الاخلاص : مع الله سبحانه وتعالى ، وفى الطاعة : رجاء نوال رضوانه ، وفى عملهم : بهدف النجاح فى حسن خلافتهم لله تعالى .

ومن هنا : فلا يهمهم أن يعرف أمرهم ، أو يحصى عددهم .

وهم : بتمسكهم بالإسلام ، وبدعوتهم له ، ودفاعهم عنه ، فى جهاد إلى يوم القيامة .

إذ يقول المصطفى ﷺ :

« لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم – بضم الراء – المسيح – بفتح الحاء – الدجال »[٦٤] .

ومن هؤلاء – وبهؤلاء –: ينبع الخير ، ويظهر العدل ، ويشيع السلام .

ومن هؤلاء – وبهؤلاء –: تكون القيادة – بإذن الله تعالى – لهذا العالم ، اللاهث فى حروبه ، الغارق فى ذنوبه ، التائه عن درب : عزه ، وأمنه ، وسعادته .

* * *

(٦٤) رواه : أبو داود ، كتاب : الجهاد ، باب : فى دوام الجهاد .

خاتمـــة

ونتيجة لهذا التمزق ، وهذه الانقسامات :

جهل المسلمون ..!

وضعف المسلمون ..!

ثم ....

ثم تخلفوا ...!!!

* * *

الفصل الثالث

من مظاهر الأزمـــة

(٣)

تـخلف المسلميـن

* تقديم ..
* التخلف العلمي ..
* التخلف الاقتصادي ..
* التخلف السياسي ..
* التخلف الديني ..

تقديـــم

وكان من نتيجة تصويب هذه السهام – النشطة ، اليقظة ، الدؤوب – إلى المسلمين ، وصفوفهم القوية ، وجموعهم الكثيرة ، ودولهم الفتية ، ونجاح هذه السهام فى الوصول إلى كثير من أغراضها ، والنجاح فى العديد من أهدافها .

إلى جانب أمور أخرى .

أن أصبح الواقع كما رأينا ، وكما يصح أن نطلق عليه ونصفه بالواقع الأليم .. وهو فعلا : أليم فى نفسه ، أليم لأهله ، أليم لكل من مر عليه بالدرس والتحليل ، أو حتى بالذكرى والاسترجاع .. على النحو الذى مررنا عليه بالإشارة والتلميح ، لا بالشرح والتوضيح .

وكان من نتيجة هذه السهام .

وكان من نتيجة هذا الواقع ..

وكان من حصاد اجتماعهما معا ، والتقائهما فى عالم اليوم ، أو من حصاد وقوع عالم اليوم فريسة لهما .

أن أصيب المسلمون – على شرف رسالتهم ، وكثرة عددهم ، وامتلاء خزائنهم ، وتفوق عقولهم – بالتخلف العام ، والانحطاط الشامل ، التخلف الذى يمثل المظاهر الصارخة ، لهذه الأزمة الطاحنة ، التى نعانيها نحن مسلمى اليوم ، والتى من آثارها أن ساد الدمار ، وعمت الفوضى ، وانتشرت الفتن ، وابتلعت همجية الغابة العلاقات الدولية ، و... و... إلخ .

وتتجلى مظاهر هذه الأزمة – على سبيل المثال – فى :

١ – التخلف العلمى .   ٢ – التخلف الاقتصادى .

٢ – التخلف السياسى .   ٤ – التخلف الدينى .

ولنقف وقفة قصيرة متأنية عند كل واحدة من هؤلاء آملين فهمها ، راجين الخلاص منها .

التخلـــف العلمـــى

وهو أسوأ أنواع التخلف الذى أصاب الأمة الإسلامية ، وجذبها من مقدمة الصفوف العالمية إلى مؤخرتها ، إن كان لها مكان فى المؤخرة !!!

يقول أبو الحسن الندوى : « أصاب الجدب العلمى ، وشبه الشلل الفكرى ، العالم الإسلامى من شرقه إلى غربه ، وأخذه الاعياء ، والفتور ، واستولى عليه النعاس .

ولعل القرن التاسع الهجرى – إذا لم نقل القرن الثامن – آخر قرون النشاط والتوليد والابتكار فى : الدين ، والعلم ، والأدب ، والشعر ، والحكمة .

والقرن العاشر : أول قرون : الخمود ، والتقليد ، والمحاكاة .

وترى هذا الخمود : عاما ، شاملا ؛ للعلوم الحديثة ، والفنون الأدبية ، والمعانى الشعرية ، والانشاء والتاريخ ، ومناهج التعليم »[٦٥] .

ويقول : «ولم يكن انحطاط المسلمين فى العلوم : النظرية ، والحكمية ، والمدنية ؛ فحسب ، بل كان هذا الانحطاط : عاما شاملا .

وكان شر ما أصيبوا به : الجمود فى العلم ، والجمود فى صناعة الحرب ، وتنظيم الجيوش .

وقد نسوا : قول الله تعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ... ﴾[٦٦] (الآية) .

وكان خليقا بهم – لحرج مركزهم السياسى والجغرافى ، وقد أحاطت بهم الدول الأوربية إحاطة السوار بالمعصم – أن يجعلوا وصية القائد الإسلامى الكبير

(٦٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . ص ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٤٨ ، باختصار يسير .

(٦٦) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

عمرو بن العاص ، رضى الله عنه ، للمسلمين فى مصر ، نصب أعينهم :

(أعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة ؛ لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم إليكم وإلى دياركم) ..

ولكنهم !!

وقفوا .. وتقدم الزمان ..!!

وتخلفوا .. وسبقت الأمم الأوربية .

وأقول :

ونسوا كذلك :

أن أول كلمة نزلت من القرآن الكريم ، كتاب الدين الذى ارتضاه الله لهم ، هى :

﴿ اقرأ ﴾ .

وليس بخاف ما تدل عليه ، هذه البداية : الآمرة ، القوية ، الواضحة .

وأن هذا الدين قد حث على العلم ، والتعليم ، فى كل مجالاته النظرية والعملية ؛ التى من شأنها أن تعين الإنسان على عمارة هذا الكون ، الذى استخلفه الله تعالى عليه .

﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[٦٧] ؟

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت ﴾[٦٨] ؟

﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾[٦٩] ؟

(٦٧) سورة الذاريات : الآية ٢١ .

(٦٨) سورة الغاشية : الآيات ١٧ - ٢٠ .

(٦٩) سورة ق : الآية ٦ .

﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شىء ﴾[٧٠] ؟

﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾[٧١] ؟

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾[٧٢] .

وأن هذا الدين : قد كرم العلماء والمتعلمين ، فى كل فروع العلم ومجالاته :

﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[٧٣] ؟

﴿ فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون ﴾[٧٤] .

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها
ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود *
ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك
إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[٧٥] .

– بفتح الهاء من لفظ الجلالة ، وضم الهمزة من العلماء –.

تكريم للعلم والعلماء ما بعده تكريم ، وحث على تلقى العلم ، وبلوغ المسلمين فيه أقصى درجات الرقى والكمال .

وقد أيدت ذلك توضيحات السنة النبوية .

كما التزم به المسلمون التزاما بلغهم أرفع درجات السبق فى مضمار الاكتشافات العلمية ، سواء أكان ذلك فى العلوم النظرية ، أم فى العلوم العملية ،

---

(٧٠) سورة الأعراف : الآية ١٨٥ .

(٧١) سورة العنكبوت : الآية ٢٠ .

(٧٢) سورة فصلت : الآية ٥٣ .

(٧٣) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٧٤) سورة النحل : الآية ٤٣ ، سورة الأنبياء : الآية ٧ .

(٧٥) سورة فاطر : الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

حتى أواخر القرن التاسع الهجرى تقريبا .

لكن ..!

تخلف مسلموا اليوم عن الأمم المعاصرة فى العلوم الطبيعية ، والأسباب الحربية ، وفى الأخذ بأسباب الرقى المادى بعدة قرون .

«وقد كانت المسابقة بيننا وبينهم - كما يقول الندوى - كمسابقة الأرنب والسلحفاة ، إلا أن الأرنب : كان ساهرا ، مع خفته وسرعته ، والسلحفاة : نائمة ، رغم بطئها ، وثقلها .

فلو حاربنا هذه الأمم اليوم لاستغرق ذلك قرونا .

ثم كانت المقارنة بحساب دقيق ، فإذا أفاق العدو ، وسبقنا بشعرة فى القوة المادية ، والقوة الحربية : رجحت كفته ؛ لأن المادة عمياء ، وهى من القساوة والحياد التام بمكان لا تفرق فيه بين المحق والمبطل ، والشريف والوضيع»(٧٦) .

وما أسوأه من تخلف ..!!

بل ما أسوأ نتائجه ..!!

وأكاد أقول : أنه سبب كل أنواع التخلف ، التى منيت بها الأمة الإسلامية .

* * *

(٧٦) أبو الحسن الندوى : إلى الإسلام من جديد ص ١٧ ، ١٨ .

ذلك : أن الكثرة الغالبة من مجتمعات المسلمين متخلفة اقتصاديا ، وقدرتها على : التصنيع ، والانتاج ، والتصدير - كما يقول : الدكتور أحمد كمال أبو المجد - قدرة محدودة للغاية .

والرخاء الذى تعيشه بعض المجتمعات الإسلامية : رخاء عارض ، أتاحه ظهور النفط ، وارتفاع أسعاره ، ومبادلته بسلع جاهزة ، أنتجها الغير .

حتى صار صحيحا فى حقنا - نحن المسلمين - أننا نستورد : غذاءنا ، وكساءنا ، ودواءنا ، وسلاحنا(٧٧) .

ومما يؤسف له : أن كثيرا من أموال هذه المجتمعات تستثمر فى البلاد غير الإسلامية ، بل فى البلاد التى تصوب سهامها - كما رأينا - إلى صدور المسلمين ، والتى لا استبعد أن يعود عائد استثمارات هذه الأموال فى صورة أسلحة تصوب إلى صدر المسلم هنا وهناك - كما يحدث وعلى سبيل المثال فى الحرب العراقية الإيرانية - والتى تساعد على إبادة المسلمين ، وإفنائهم ، دون نصب من الأعداء ، أو بذل أى مجهود ، وكذلك : فى أية حروب فى المنطقة العربية الإسلامية .

وذلك بدلا من استثمارها فى بلاد المسلمين أملا فى رفع قدرتها وكفاءتها على التصنيع والإنتاج والتصدير والرخاء .

فقد نشرت مجلة أكتوبر فى ١٩٨٥/١/٢٠ نقلا عن صحيفة ألمانية بناء على تقرير اقتصادى ، هذا الخبر :

(أربعمائة مليار دولار - يعنى أربعمائة ألف مليون دولار - أرصدة عربية فى الخارج .

---

(٧٧) د . أحمد كمال أبو المجد ، العربى ، العدد ٣١٩ ص ١٧ .

٦٠٪ منها فى أمريكا وحدها .

٢٠٪ فى أوربا)[٧٨] .

* * *

وفى عام ١٩٨٨ م نشرت مجموعة البنوك الفرنسية العربية « اليوباف » دراسة جاء فيها : أن الأموال العربية فى بنوك ومؤسسات الدول الكبرى ، بلغت : ستمائة وعشرين مليارا من الدولارات[★] .

ولهذا .. مع غيره :

نجح الغرب – وبسبب العجز والتبعية والركون الاقتصادى الإسلامى إليه – فى جعل العالم الإسلامى فى خانة المقترضين ، وتكبيله بالديون والفوائد ، التى تضاعفت فى بعض البلاد العربية لتصل إلى ٦ مرات .

ولذلك نرى : أن شروط صندوق النقد الدولى ، ومن ورائه الدول الصناعية ، تتحكم اليوم فيما عجزت عنه المؤسسات السياسية .

ففى سنة ١٩٧٨ م كانت ديون العالم الإسلامى ٨٢ مليار دولار . ارتفعت إلى ١٤٤ مليار دولار بعد خمس سنوات .

وفى سنة ١٩٨٦ م بلغت ٢٣٠ مليار دولار . ويدفع عن هذه الديون فوائد سنوية تقدر بـ ١٠ مليارات من الدولار[★★] .

* * *

---

(٧٨) الأعتصام ، عدد يونيو ويوليو ١٩٨٥ ، ص ١٠ .

(★) د . زغلول راغب النجار ، « قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر » .

(★★) انظر : كتابنا « الاستقامة فلاح فى الدنيا ونجاة فى الآخرة » ص ٤٠ .

وبذلك نكون قد قصرنا فى واحد من أوامر الله سبحانه وتعالى للأمة الإسلامية ، يتصل اتصالا وثيقا بالقوة الاقتصادية ، والتفوق فى مجالاتها - كما يتصل بغيرها - وهو قوله تعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ .

وأصبح الموجه للاقتصاد العالمى - بما فيه اقتصاد المسلمين أنفسهم - غير المسلمين .

والاقتصاد - كما هو معروف - عصب الحياة ، والمحرك الحقيقى للعلاقات الدولية ، علنية كانت أو خفية .

التخلــف السيــاسى

والكثرة الغالبة من الدول الإسلامية كذلك منقوصة الاستقلال السياسى ، تابعة – بدرجات متفاوتة – لدول كبيرة أو كبرى .

وهذا أمر لا تجوز المكابرة فيه ، بل أن أكثر الشواهد تشير إلى أن استمرار الفجوة بين الدول الصناعية المتقدمة وبين الدول الصغيرة التى لا تزال تشق طريقها نحو التقدم من شأنه أن يثبت هذه التبعية ، وأن يقلل فرص الاستقلال الحقيقى لهذه الدول النامية .

ومن الضرورى أن يؤثر هذا الانتقاص من الاستقلال السياسي ، بل هذه التبعية من فرص التأثير الحقيقى للعالم الإسلامى فى مجريات الأمور الدولية ، بل من فرص التصويت المؤثر فى المحافل السياسية العالمية .

وهذا من شأنه أن يفقده أحيانا ، بل كثيرا ، القدرة على إدارة شئونه ، دونما تدخل من دول كبيرة أو كبرى .

وذلك هو المشاهد على الخريطة السياسية لما يسمى بالعالم الثالث ، ومن بين دوله : الدول الإسلامية .

فهى موزعة الانتماء : إما إلى الشرق ، وإما إلى الغرب ، بل إنك لتجد انتماء الدولة الواحدة فى تأرجح : إما مع الشرق تارة ، وإما مع الغرب أخرى .

وفقدت بذلك الدول الإسلامية ، وعلى رأسها الدول العربية ، النجاح فى تكوين جبهة سياسية مؤثرة فى مجريات الأمور العالمية ؛ وما ذلك إلا لأنها تخلت عن كثير من الأوامر الإلهية ، ومن أبرزها فى هذا المجال : قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾[٤٩] .

فلمالم تعتصم هذه الدول– على كثرتها– بدين الله، وهوالإسلام، وأصابها التفرق ؛ كانت النتيجة هى : انتقاص الاستقلال السياسى ، بل التبعية لدول كبيرة أو كبرى ، كما هو المشاهد !!!

* * *

التخلـــف الديـــنى

والدين عقيدة ، والدين سلوك ، والدين عمل وإنتاج ، والدين تفوق فى كل مجالات الإبداع الإنسانى فى عمارة الكون كما هو تفوق فى الامتثال للأوامر والنواهى الربانية .

لكن ..!!

لو عرجنا على بعض الأوامر الإلهية .. لوجدنا : بونا شاسعا ، وهوة سحيقة بين النظرية والتطبيق فى عالم اليوم .

وأمثلة قليلة على ذلك :

يقول تعالى فى معرض الأمر للمؤمنين فى جميع عصورهم :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾(٦٥) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾(٤٩) .

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾(٤٩) .

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾(٧٩) .

---

(٧٩) سورة الحجرات : الآيتان ٩ ، ١٠ .

﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾(٨٠) .

* * *

وغير ذلك كثير .

* * *

إن الواقع الماثل فى عالم اليوم يفتح عيوننا على هذا التصدع فى تطبيق المسلمين لهذه الأوامر الإلهية .. والتى نجم عن الاخفاق فى تطبيقها ، أو الاهمال ، بل ترك تطبيقها .. هذا التفسخ فى العلاقات بين دول هذا العالم ، بل هذه الحروب الطاحنة بين الكثير من دول هذا العالم ، وطغيان المادة ، وغلبة الأنانية ، وسيطرة الغرائز ، وشهوة التسلط على بنى الإنسان .

وأسوأ من كل ذلك : ضعف المسلمين .

ولذا فقد أصبح واضحا : أن مسلمى اليوم ، كما يقول أبو الحسن الندوى ، «قد تشاغلوا بالدنيا كالأمم الجاهلية ، وسعوا وراءها ، وعقدوا حياتهم بها ، ومن رأى مدنهم وبلادهم من مرقب عال : لم يستطع التمييز بينهم وبين أفراد أمة جاهلية .

سعى وراء المادة فى غير اقتصاد .

واكتساب من غير احتساب .

وسهر فى غير طاعة .

---

(٨٠) سورة الحج : الآية ٧٨ .

وعمل فى غير نية .

وتجارة فى لهو عن ذكر الله .

وحرفة فى جهل عن دين الله .

ووظيفة فى الإخلاص لغير الله .

وحكومة فى مشاقة الله .

شغل فى ضلالة .

وقعود فى بطالة .

وحياة فى غفلة وجهالة »[٨١] .

* * *

(٨١) إلى الإسلام من جديد ص ١٥ .

خاتمَـــــة

كيف السبيل لإنهاء الأزمــة .. ؟

* المسلمون هم الأمل ..

* طريق الخلاص ..

المسلمون هم الأمل

وبالرغم من كل ما سبق :

فالمسلمون على علاتهم : هم موئل الإنسانية ، وأمة المستقبل بإذن الله تعالى .

يقول العلامة أبو الحسن الندوى :

«ولكن برغم كل ما أصيب به المسلمون من علة وضعف فإنهم هم الأمة الوحيدة على وجه الأرض ، التى تعد خصيم الأمم الغربية وغريمتها ومنافستها فى قيادة الأمم ، ومزاحمتها فى وضع العالم ، والتى يعزم عليها دينها أن تراقب سير العالم وتحاسب الأمم على أخلاقها وأعمالها ونزعاتها ، وأن تقودها إلى الفضيلة والتقوى ، وإلى السعادة والفلاح فى الدنيا والآخرة ، وتحول بينها وبين جهنم بما استطاعت من القوة ، والتى يحرم عليها دينها ويأبى وضعها وفطرتها أن تتحول أمة جاهلية .

هذه هى الأمة التى يمكن أن تعود فى حين من الأحيان خطرا على النظام الجاهلى الذى بسطته أوربا فى الشرق والغرب وأن تحبط مساعيها».

وقد وصف هذا الخطر شاعر الإسلام الحكيم (محمد إقبال) فى قصيدته البديعة : (برلمان إبليس) .

ذكر فيها على لسان إبليس : أن الشياطين وزملاء إبليس وأعوانه اجتمعوا فى مجلس لهم ، وتباحثوا فى سير العالم وأخطار الغد وفتنه ، وما يتوجسون من خيفة على نظامهم الإبليسى ومهمتهم الشيطانية ، فتذاكروا فى فتن وأخطار قد أحدقت بهم وهددت نظامهم ، وجللوا خطبها وتناذروا شرها .

فذكر أحدهم : الجمهورية وحسب لها حسابا كبيرا .

فقال كبيرهم : لا يهولنك أمرها ليست إلا غطاء للملوكية ، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهورى ، إذ رأينا الإنسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر بكرامته ، وخفنا ثورة على نظامنا قد لا تحمد عاقبتها ، فألهيناه بلعبة الجمهورية ،

وليس الشأن فى الأمير والملك ، إن الملوكية لا تنحصر فى وجود شخص ترتكز فيه الملوكية وفرد يستبد بالسلطان، إنما الملوكية أن يعيش الإنسان عيالاً على غيره مستشرفا إلى متاع غيره ، سواء فى ذلك الشعب والفرد ، أما رأيت نظام الغرب الجمهورى وجه مشرق وضاح وباطنه أظلم من باطن جنكيز خان ؟

فقال الآخر : لا بأس إذا بقيت روح الملوكية ، ولكن ماذا يقول الرئيس المحترم فى هذه الفتنة الدهماء التى أثارها هذا اليهودى الذى يدعى كارل ماركس ذلك الباقعة الذى ليس نبيا ولكنه يحمل عند أتباعه كتابا مقدسا ، هل عندك نبأ أنه أقام العالم وأقعده ، وأثار العبيد على السادة حتى تزعزعت مبانى الإمارة والسيادة ؟

فقال الآخر مخاطبا رئيس المجلس : يا صاحب الفخامة ، إن سحرة أوربا وإن كانوا مريديك المخلصين ولكنى لم أعد أثق بفراستهم ، ما السامرى اليهودى الذى هو نسخة من مزدك ؟

الزعيم الفارسى الاشتراكى ، قد كاد يأتى على العالم بقواعده فاستنصر البغاث ، وأصبح الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب ويدفعونهم بالراح .

إنا قد استهنا بخطب هذه الحركة الاشتراكية وها هى قد استفحلت وتفاقم شرها ، وها هى الأرض ، ترجف بهول فتنة الغد .

يا سيدى إن العالم الذى كنت تحكمه سينقض عليك ، وينقلب نظام العالم ظهرا لبطن .

فتكلم رئيس المجلس – إبليس – وقال :

إنى أملك زمام العالم واتصرف به كيف أشاء ، وسيرى العالم عجبا إذا حرشت بين الأمم الأوربية فتهارشت تهارش الكلاب ، وافترس بعضها بعضا فعل الذئاب ، وإذا همست فى آذان القادة السياسيين وأساقف الكنائس الروحانيين فقدوا رشدهم وجن جنونهم .

أما ما ذكرتم عن الاشتراكية فكونوا على ثقة أن الخرق الذى أحدثته الفطرة بين الإنسان والإنسان لا يرفؤه المنطق المزدكى .

أى : الفلسفة الاشتراكية .

لا يخوفنى هؤلاء الاشتراكيون الطرداء والصعاليك السفهاء .

ثم يقول :

إن كنت خائفا فإنى أخاف أمة .

لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة فى رمادها .

ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا .

لا يخفى على الخبير المتفرس أن الإسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل ، ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهل أن هذه الأمة اتخذت القرآن مهجورا ، وأنها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وإدخاره كغيرها من الأمم ، أنا خبير أن ليل الشرق داج مكفهر ، وأن الإسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التى تشرق لها الظلمات ويضيء لها العالم ، ولكنى أخاف أن قوارع هذا العصر وهزته ستقض مضجعها وتوقظ هذه الأمة وتوجهها إلى شريعة محمد ﷺ .

إنى أحذركم وأنذركم من دين محمد ﷺ حامى الذمار ، حارس الذمم والأعراض ، دين الكرامة والشرف ، دين الأمانة والعفاف ، دين المروءة والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ، يلغى كل نوع من أنواع الرق ، ويمحوا كل أثر من آثار استعباد الإنسان ، لا يفرق بين مالك ومملوك ، ولا يؤثر سلطانا على صعلوك ، يزكى المال من كل دنس ورجس ويجعله نقيا صافيا ، ويجعل أصحاب الثروة والملاك مستخلفين فى أموالهم[٨٢] أمناء لله وكلاء على المال .

وأى ثورة أعظم وأى انقلاب أشد خطرا مما أحدثه هذا الدين فى عالم الفكر والعمل يوم صرح أن الأرض لله لا للملوك والسلاطين ؟

---

(٨٢) ﴿ **أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** ﴾ سورة الحديد: الآية ٧ .

فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متواريا عن أعين الناس ، وليهنكم أن المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه قليل الإيمان بدينه ، فخير لنا أن يبقى مشتغلا بمسائل علم الكلام والإلهيات وتأويل كتاب الله والآيات ، اضربوا على آذن المسلم فإنه يستطيع أن يكسر طلاسم العالم ويبطل سحرنا بأذانه وتكبيره ، واجتهدوا أن يطول ليله ويبطىء سحره ، اشغلوه يا إخوانى عن الجلد والعمل حتى يخسر الرهان فى العالم .

خير لنا أن يبقى المسلم عبدا لغيره ، ويهجر هذا العالم ويعتز له ويتنازل عنه لغيره زهدا فيه ، واستخفافا لخطره .

يا ويلتنا ويا شقوتنا لو انتبهت هذه الأمة التى يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتشهد على الأمم[٨٣] .

* * *

(٨٣) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم ص ٢٦٤ وما بعدها .

طريـــق الخـــلاص

ولن يكون الخلاص من كل ما ذكرنا من انحطاط ، وضعف ، وتخلف ، وتمزق ، وتشرذم .

ولن يكون خروج للمسلمين من هذه الأزمة الراهنة ، والتى تحدثنا عنها ، والتى تتمثل فى تخلفهم المهين - كما ذكرنا - وانحطاطهم المشين ، وفقرهم من مقومات النجاح ، وبعدهم عن صفوف الزعامة ، وعجزهم عن الخلافة والقيادة .

إلا بأن ينهض العالم الإسلامى برسالته التى وكلها إليه مؤسسه ﷺ .

وهى رسالة قوية واضحة مشرقة ، لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ، ولا أفضل ولا أيمن للبشرية منها .

وأن يؤمن بها .

وأن يستميت فى سبيلها .

* * *

ولكن .. كيف يكون ذلك !!؟

تعالى معى أيها القارىء الكريم ، مشكورا مأجورا ، لنبحث فى تذكرة الدواء الإلهية - المذكورة فى قوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ - عن الإجابة على هذا السؤال .

ولنوقن سويا أن (الإسلام هو الحل) ولا حل بسواه ، لأزمات هذا العالم ، اللاهث فى حروبه ، الغارق فى تخلفه وضياعه وذنوبه ، التائه عن درب عزه وأمنه وسعادته .

ولنعاهد الله تعالى سويا على أن نحيل هذه الحلول النظرية ، إلى واقع عملى تطبيقى - قدر الطاقة - من الجميع حاكمين ومحكومين ، أفرادا وجماعات .

الباب الثاني

أدوات التقدم .. وشروط النهضة

* تقديم
* الفصل الأول : أدوات التقدم والنهضة ..
* الفصل الثاني : إزالة معوقات النهضة

تقديـــــم

إن الخروج من أزمة التخلف الذى تعيشه المجتمعات الإسلامية ، لا يمكن أن يتحقق – فيما يرى الدكتور أحمد كمال أبو المجد ، بحق – بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالإسلام ، وحضارته ، وثقافته ، ونظامه القيمى .

ومهما بدا لبعض المحللين والمؤرخين والمصلحين من وجود (أدوات للنهضة) مستقلة تماما عن روح الحضارات المتميزة ؛ فإن الحقيقة التاريخية تؤكد ، أن التفاعل مع هذه الأدوات والاستجابة لتأثيرها لا يكتملان أبدا فى إطار الشعور بالغربة عنها ، وهو شعور : يضيع الثقة بالنفس ، ويزرع الاعتقاد بالعجز .

إن الدعوة إلى الأخذ من ثقافة الآخرين : مهما بدت مبررة ومقنعة ؛ فإنها تظل محملة بخطرين كبيرين :

أولهما : أن تتحول الاستجابة لها إلى استجابة مطلقة ، تأخذ مع (الأدوات الحضارية) (قيما حضارية) ، ومع الأساليب التقنية ، أساليب حياة ومعيشة ، ونظما للعلاقات الإنسانية ، أى : تحمل مع (أدوات النهضة) أدوات الانتكاس فى ميادين أخرى ، وتنقل إلى البيئة المحلية مع أسباب التقدم ، أمراض التقدم ، وأعراض الأزمة المصاحبة له .

أماالخطر الآخر : فهو خطر الاستجابة الناقصة ؛ نتيجة المقاومة الداخلية والباطنية الناشئة من الاحساس بالخطر ، والشعور بالغربة إزاء (أدوات التقدم) المستعارة .

إذ أن الشعوب – كما يقول – فى مراحل ضعفها ، وإحساسها بأخطار الغزو الثقافى والسياسى : تميل – بتلقائية غريزية – إلى الانغلاق على نفسها ، وإغلاق النوافذ فى وجه التيارات الوافدة ، وتثبيت أقدامها فى أرضها المحتلة ؛ خوفا من أن تقتلعها العواصف القادمة .. وفى هذه المراحل : يكثر الحديث عن

الأصالة ، وضرورة المحافظة على ذاتية الثقافة ؛ وضرورة رفض (الأفكار المستوردة) ، كما تغلب نزعة محافظة تتجه إلى اجترار الماضى والالتصاق به ؛ خوفا من مجاهيل المستقبل وما يحمله .

لهذا :

فإن استخراج (أدوات النهضة) (وشروط التقدم) من داخل الحضارة الذاتية – الإسلامية – يغدو المسلك الأمثل ، إن لم يكن الطريق الوحيد الفعال ، لمتابعة مسيرة التقدم ، متابعة لا يتهددها خطر الاندفاع الذى ينخلع أصحابه من ذاتهم ، ولا خطر الرفض والتحفظ ومقاومة (الأدوات الجديدة) لأنها : وافدة ، وغريبة ، وتحمل فى طياتها مداخل متعددة للتبعية ، وفقدان الاستقلال ، وضياع الهوية[٨٤] .

وللوصول إلى اكتشاف هذه الأدوات من داخل الحضارة الذاتية الإسلامية .

نتساءل !!

هل يمتلك الإسلام هذه الأدوات ؟؟

وهل يستطيع المسلمون استغلال أدوات التقدم هذه ؟

وما هذه الأدوات فيما نرى ؟؟

وللإجابة على هذه التساؤلات :

وفى نفس الوقت للوصول إلى اكتشاف هذه الأدوات :

نعبر جدار الزمن عائدين إلى عهد النبى ﷺ – لا اجترارا للماضى ، أو التصاقا به فقط ، أو خوفا من مجاهيل المستقبل ، كما يتحفظ الدكتور أحمد كمال أبو المجد ، ولكن – دراسة له ، وإفادة منه ، واستضاءة بهديه ، وبيانا لكون هذه الأدوات التى سوف نتحدث عنها بعد ، هى من توجيه الله تعالى لهذه الأمة ،

---

(٨٤) انظر : مجلة « العربى » العدد رقم ٣١٩ يونيو ١٩٨٥ ص ١٩ ، ٢٠ .

وهى من شرعه ، وهى وحدها ، وعن طريقها فقط ، يكتب لهذه الأمة الخروج من أزماتها التى تعانى منها ، بل تتحقق لها النهضة ، والريادة ، والزعامة العالمية .

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾(٨٥) .

ثم استخراج هذه الأدوات .

وتوضيح كيفية الإفادة منها .

وتعال معى أيها القارىء الكريم : إلى هذه الفترة العصيبة ، التى عاشها النبى ﷺ وأصحابه فى مكة ، خائفين ، متسترين بعبادتهم ، مشتتين ، معذبين ، وهى فترة : طالت ، وأيام الشقاء والعذاب بطبعها طويلة وثقيلة .

ونمر سراعا على هذه الفترة ، لننتقل مع المسلمين وقد ذهبوا مهاجرين بدينهم إلى وطن جديد ينشدون فيه الأمن ، والتجمع ، وإعلان عبادتهم لله تعالى جهرا ، دون خوف من بطش أو عذاب أو تنكيل .. أو .. إلخ .

لكن .. ويا للأسف لقد انتقل معهم كثير مما كان يثقل كواهلهم فى مكة من خوف ورعب من المشركين ، خاصة وقد انتقلت المطاردة خلفهم ، وأحاطت الحروب بهم ، من الداخل حيث اليهود والمنافقون ، ومن الخارج حيث كفار مكة وحلفاؤهم ، الذين بلغ بهم العداء والمطاردة أن أحاطوا بالمسلمين فى غزوة الأحزاب من فوقهم ومن أسفل منهم ؛ رغبة فى إبادتهم .

ويصور القرآن الكريم هذه الحالة التى كانوا عليها أبلغ تصوير وأصدقه ، حيث يقول تعالى :

﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا * وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾(٨٦) .

---

(٨٥) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٨٦) سورة الأحزاب : الآيات ١٠ - ١٢ .

إنه جو رهيب من الرعب !!

إنه ميزان لا تتعادل كفتاه !!

ففى جانب المشركين : الكثرة فى العدد ، التفوق فى العتاد والعدة ، المبادأة بالهجوم .

وفى جانب المسلمين : القلة فى العدد ، التخلف فى العتاد والعدة ، التحصن والدفاع – خاصة فى غزوة الأحزاب –.

كيف السبيل إلى الخروج من هذا الجو الرهيب ؟؟

كيف السبيل إلى عبادة الله تعالى فى أمن وأمان ؟؟

كيف السبيل إلى إعلاء كلمة الله تعالى ، ونشرها فى العالمين ؟؟

كل ذلك لن يتم إلا بالتقدم .

والتقدم فى كل شىء .

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾(٦٦) .

لكن !!

كيف السبيل إلى هذا التقدم ؟

وما الطريق لتحقيق هذه القوة ؟

وتطلعت أفئدة المسلمين إلى سبل الخلاص من هذا التخلف الذى فرض عليهم هذا الجو الرهيب من الخوف .

وتطلعت عقولهم إلى : معرفة أدوات التقدم ، واكتساب القوة ، فالنهضة .

وقال رجل : يا رسول الله !!

أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ، ونضع السلاح ؟؟

فقال عليه الصلاة والسلام :

« لا تلبثون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم ، محتبيا ، ليس عليه حديدة »[87] .

وكانت هذه بشارة نبوية بالأمن بعد الخوف ، وبالقوة بعد الضعف .

وكأنها كانت فى نفس الوقت : تهيئة للنفوس ، وشحنا للعقول ، واستنهاضا للقيم ؛ لتلقى (أدوات التقدم .. وشروط النهضة) أملا فى الخروج بها من هذا التخلف ، وتوصلا بها إلى (نتائج التقدم .. وثمار النهضة) .

إذ نزلت تذكرة الدواء الإلهية[88] وهى قوله تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون * لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾[88] .

وكان هذا وعدا من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه :

سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أى أئمة الناس ، والولاة عليهم ، والزعماء فيهم ، وبهم تصلح البلاد ، وبهديهم يستقيم العباد .

ويمكن لهم الإسلام ، ويمكن لهم بالإسلام .

ويبدلهم من بعد خوفهم من الناس ، أمنا ، وحكما فيهم .

يقول الإمام ابن كثير[89] :

« وقد فعله تبارك وتعالى، وله الحمد والمنة .

---

(87) انظر : جامع البيان ١٦٠/١٨ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٩٧/١٢ ، تفسير القرآن العظيم ٣٠١/٣ ، أسباب النزول للسيوطى ص ١٨٨ ، ومحتبيا ، أى يجلس القرفصاء .

(88) سورة النور : الآيات ٥٥ - ٥٧ .

(89) تفسير القرآن العظيم ٣٠٠/٣ .

فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها . وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس . وملوك عمان والنجاشى ملك الحبشة .

ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة .

قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شعث ما وهى بعد موته ﷺ وأخذ جزيرة العرب ومهدها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس بصحبة خالد ابن الوليد رضى الله عنه ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقا من أهلها . وجيشا آخر بصحبة أبى عبيدة رضى الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثا بصحبة عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامى فى أيامه بصرى ودمشق ومخالفيهما من بلاد حوران وما والاها .

وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة .

ومنَّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله فى قوة سيرته وكمال عدله . وتم فى أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى آخرها وأكثر اقليم فارس . وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقصر قيصر ، وانتزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية ، وأنفق أموالهما فى سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ، عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة .

ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص ، وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلى البحر المحيط ومن ناحية الشرق إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا ، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان ، وجبى الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان

ابن عفان رضى الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن .

وأقول :

والآية فى نفس الوقت : وعد لجميع المسلمين من الله سبحانه وتعالى ، بأن :

يجعل منهم خلفاء الأرض ، والقادة عليها ، والزعماء لشعوبها .

ويمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، فينتشر نوره ، ويعم هديه ، وتسود مبادؤه ، وتهيمن أحكامه وتشريعاته .

ويبدل خوفهم أمنا ، أمنا فى كل شىء ، فى الدين ، فى النفس ، فى المال ، فى الأولاد ، فى الوطن ، فى ... فى .. إلخ .

والآية كذلك :

تهدى للمسلمين (أدوات التقدم ، وشروط النهضة) .

وقد أدرك ذلك صحابة رسول الله ﷺ .

فأخذوا بالأدوات .

والتزموا بالشروط .

فنالوا – كما رأينا – (نتائج التقدم ، وثمار النهضة) .

فهلا حاولنا – من تذكرة الدواء الإلهية – معرفة هذه الأدوات ، وتلك الشروط ، كما عرفوها ، وطبقوها آنذاك بما تيسر لهم من إمكانيات .

رغبة فى :

الأخذ بهذه الأدوات .

والالتزام بهذه الشروط .

أملا فى :

الخروج من هذه الأزمات التى نعانى منها ، نحن مسلمى اليوم .

والتخلص من أوزار هذا التخلف المهين ، والانحطاط المشين .

والدخول فى سباق الأمم ؛ فننهض ؛ فنتولى زمام القيادة العالمية ، التى الهداية للتى هى أقوم .

تعالى معى أيها القارىء الكريم : نحاول معرفة ذلك فيما يلى :

* * *

الفصل الأول

أدوات التقدم والنهضة

* الإيمان
* العمل الصالح
* العبادة

الإيمـــان

وهو أول أداة من أدوات التقدم ، ورأسها ، وبدونه لا قيمة لغيره من الأدوات ، بل لا وزن - كذلك - لامتلاك باقى الأدوات .

ومن هنا : كان تقديم المولى سبحانه وتعالى لهذه الأداة على جميع الأدوات التى ذكرها كشرط :

لخروج المسلمين من : واقعهم المر ، وأزماتهم الطاحنة ، وتخلفهم المزرى .

وفى نفس الوقت : لبلوغهم أعلى مراتب النهضة ، وحصولهم على أعظم درجات وصور التقدم .

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم ... ﴾[٨٨] .

وليكن من المعلوم بداءة أن وعد الله بابلاغ المسلمين أعلى مراتب النهضة ، وتمكينهم من أعظم درجات التقدم : لن يكون إلا إذا امتلكوا أدوات هذا التقدم ، وتوافرت فيهم شروط هذه النهضة .

وبعبارة أخرى : لن يحقق الله تعالى لهم ما وعدهم به فى هذه الآية ؛ إلا إذا قاموا هم بتحقيق ما طلب منهم مولاهم وخالقهم والأعلم بهم سبحانه وتعالى ، فى هذه الآية .

وحديثها هنا عن الأداة الأولى .

وهى : الإيمان .

والإيمان فى اللغة العربية : التصديق[٩٠].

والإيمان كذلك : ضد الكفر ، وهو يستعمل فى هذه الحالة : اسما للشريعة التى جاء بها محمد ﷺ .

---

(٩٠) ابن منظور : لسان العرب (مادة : امن) .

وعلى ذلك قوله تعالى :

﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون** ﴾ (الآية)[٩١] .

ويوصف به : كل من دخل فى شريعته ، مقرا : بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا[٩٢] .

ويراد به : إذعان النفس للحق ، على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح .

وعلى هذا قوله تعالى :

﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون** ﴾[٩٣] .

والمؤمنون كما يصورهم القرآن الكريم :

﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون *

والذين هم عن اللغو معرضون *

والذين هم للزكاة فاعلون *

والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون *

والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون *

والذين هم على صلواتهم يحافظون *

أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾[٩٤] .

---

(٩١) سورة المائدة : الآية ٦٩ .

(٩٢) الراغب الأصفهانى : المفردات (كتاب : الألف) .

(٩٣) سورة الحديد : الآية ١٩ .

(٩٤) سورة المؤمنون : الآيات ٢ - ١١ .

وفى آية البر بسورة البقرة بيان : للإيمان ، وكذلك لأمور هى من الإيمان .

وهى قوله تعالى :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر

من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين

وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب

وأقام الصلاة

وأتى الزكاة

والموفون بعهدهم إذا عاهدوا

والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس

أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾(٩٥) .

وقد جعل رسول الله ﷺ أصل الإيمان فى ستة أشياء :

١ – الإيمان بالله تعالى .

٢ – الإيمان بملائكته .

٣ – الإيمان بكتبه .

٤ – الإيمان برسله .

٥ – الإيمان باليوم الآخر .

٦ – الإيمان بالقدر خيره وشره .

فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب أنه قال :

---

(٩٥) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

« بينما نحن عند رسول الله ﷺ ، ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل ، شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه .

وقال : يا محمد !! أخبرنى عن الإسلام .

فقال رسول الله ﷺ :

الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا - ﷺ - رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا .

قال : صدقت .

قال[٩٦] : فعجبنا له يسأله ، ويصدقه .

قال : فأخبرنى عن الإيمان ؟

قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

قال : صدقت .

قال : فأخبرنى عن الإحسان ؟

قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه : فإنه يراك .

قال : فأخبرنى عن الساعة .

قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .

قال : فأخبرنى عن أماراتها .

---

(٩٦) أى : عمر بن الخطاب .

قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة ، العراة ، العالة ، رعاء الشاء ، يتطاولون فى البنيان .

قال : ثم انطلق .

فلبثت مليا ، ثم قال لى : يا عمر !! أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .

قال – ﷺ – فإنه جبريل ، أتاكم يعلمكم دينكم »(٩٧) .

وإذا كان هذا الحديث النبوى الشريف ، قد تكفل ببيان أصول الإيمان ، على هذا النحو !!

فقد تضافرت آيات القرآن الكريم – على نحو ما سبق – وأحاديث كثيرة غيره ، فى تقديم العديد من صور الإيمان ، التى تكفل لهذه الأداة – من أدوات التقدم ، وهى الإيمان – السعة ، والشمول ، واستيعاب كل الوجوه ، التى من شأنها أن تجعل من يمتلك هذه الأداة ، مؤهلا ، بل صالحا ، لبلوغ أعلى درجات التقدم ، ونوال أغلى شروط النهضة والرقى .

ونسوق نماذج من هذه الصور إضافة إلى ما تقدم :

١ – عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله : أحب إليه مما سواهما .

وأن يحب المرء ، لا يحبه إلا لله .

وأن يكره أن يعود فى الكفر ، كما يكره أن يقذف فى النار »(٩٨) .

٢ – عن أنس ، عن النبى ﷺ ، قال :

---

(٩٧) كتاب الإيمان : باب : بيان الإيمان ، والإسلام و ... إلخ .

(٩٨) رواه : البخارى. كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان، ورواه مسلم: كتاب الإيمان، باب : بيان خصال ، إلخ .

« الإيمان : بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان »[99] .

٣ - وعن العباس بن عبد المطلب ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« ذاق طعم الإيمان ، من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا »[99] .

٤ - عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ ، قال :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فليقل خيرا ، أو ليصمت .

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فليكرم جاره .

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فليكرم ضيفه »[100] .

٥ - عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه ؛ تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »[101] .

٦ - عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من : ولده ، ووالده ، والناس أجمعين »[102] .

٧ - عن أنس بن مالك ، عن النبى ﷺ ، قال :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[103] .

والحب فى الله ، والبغض فى الله : من الإيمان[104] .

---

(٩٩) مسلم : كتاب الإيمان ، باب : الدليل على أن من رضى .. إلخ .
(١٠٠) مسلم : كتاب الإيمان ، باب : الحث على إكرام الجار و ... إلخ .
(١٠١) مسلم : كتاب الإيمان . باب : بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون و ... إلخ .
(١٠٢) مسلم : كتاب الإيمان ، باب : وجوب محبة رسول الله .. إلخ .
(١٠٣) مسلم : كتاب الإيمان ، باب : الدليل على أن من خصال الإيمان .. إلخ .
(١٠٤) فتح البارى : ٤٥/١ .

إلى غير ذلك من الأحاديث الوفيرة .

هذا هو الإيمان : لغة ، واصطلاحا .

لكن : كيف يكون أداة من أدوات التقدم ؟

بل : كيف يكون أداة حضارية من أدوات التقدم ؟ يمكن الإفادة بها ، والنهوض باكتسابها ، والوصول عن طريقها ، إلى نتائج التقدم ، وثمار النهضة الإسلامية ؟

إن ذلك ما تعرضه – فيما نرى – تذكرة الدواء الإلهية[٨٨] .

إذْ أن مفهوم الإيمان كما تعرضه آية النور فى قوله تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم ﴾ .

كما يشتمل على كل ما قدمناه !!

يشتمل – كذلك – على أمور أخرى فوق ما قدمناه .

وهو بهذا وذاك : أداة من أدوات تقدم الأمة الإسلامية ، وعامل هام من عوامل نهوضها ، وبلوغها غاية الكمال ، ونجاحها فى مهمتها فى هذه الحياة .

والذى يوجهنا إلى هذه الأمور الأخرى :

أن صيغة الآية الكريمة تلفت نظرنا إلى : أمر ينبغى التوقف عنده ، والعناية به ، والفهم الدقيق الواعى له ؛ لنصل إلى ذلك .

فما هذا الأمر ؟

تعالوا لنقرأ الآية مرة أخرى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم ... ﴾ .

من المسلم به :

١ – أن الآية نزلت فى العهد المدنى .

٢ – أن الحديث فيها وبها ، موجه إلى جماعة المؤمنين .

٣ – أن عبارة « الذين آمنوا » يراد بها : الذين تحقق فيهم وبهم كل ما سبق ذكره قريبا .

٤ – أن لفظ (من) فى قوله « منكم » يفيد التبعيض[١٠٥] .

٥ – أن الكاف فى قوله « منكم » للخطاب ، والخطاب هنا : لجماعة المؤمنين .

وهنا يصير معنى الآية هكذا :

وعد الله الذين آمنوا من المؤمنين .

أى : وعد الله بعض المؤمنين .

أى : وعد الله بعض الذين آمنوا بالله ورسوله ، و .. و .. إلخ . بما بشرت به هذه الآية الكريمة من : نتائج التقدم ، وثمار النهضة .

لكن أيضا :

لم كان هذا الوعد لهذا الفريق من المؤمنين فقط ؟

الجواب :

لابد أنهم يمتلكون صفة زائدة عن كل ما ذكرناه سابقا ، وفى نفس الوقت لا يمتلكها غيرهم من باق المؤمنين .

صفة تجعل الإيمان : مخرجا هاما من مأزقهم الراهن ، وواقعهم المر .

---

(١٠٥) النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢٥/١٦ . الجمل : الفتوحات الإلهية ٢٣٥/٣ .

صفة تجعل الإيمان : طريقا للخلاص من أزماتهم الطاحنة ، وانتصارا على تخلفهم المزرى .

صفة تجعل الإيمان : أداة حقيقية من أدوات التقدم فى أيديهم .

صفة تجعل الإيمان : عاملا هاما من عوامل نهضتهم .

فما هذه الصفة التى لها كل هذا التأثير يا ترى ؟!.

إنها : الثقة .

وهى السر فى أن يكون الوعد الإلهى فى الآية الكريمة لبعض المؤمنين .

﴿ الذين آمنوا منكم ﴾ .

أى : الذين توافرت فيهم هذه الصفة الزائدة .

وحتى لا يفهم من ذلك التجاوز فى فهم الآية الكريمة، وشرحها؛ أجد ذلك واضحا فى غيرها من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ ، وفى اللغة العربية كذلك ، وفى فهم الأخيار من الصحابة وغيرهم .

أولا : فى القرآن الكريم :

(أ) قال تعالى :

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾[١٠٦] .

﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ :

قال الإمام محمد بن جرير الطبرى : يصدقون[١٠٧] .

---

(١٠٦) سورة البقرة : الآيات ٢ - ٤ .

(١٠٧) جامع البيان : ١/١٠٠ ، الجامع لأحكام القرآن : ١/١٦٢ .

وقال الإمام النيسابورى : يصدقون ، والإيمان التصديق ، وعداه بالباء– أى فى قوله « بالغيب » – لتضمينه معنى : أقر ، واعترف ، ووثق به(١٠٨) .

فالإيمان هنا : هو التصديق ، وهو الثقة .

(ب) قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ءامنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ﴾(١٠٩) .

قال الإمام النيسابورى :

ظاهر الآية مشعر بالأمر بتحصيل الحاصل .

وليس الأمر كذلك .

ومن هنا : كما يقول :

ذكر المفسرون فيه – أى فى تعليل التكرار فى الإيمان – وجوها :

....

(رابعها : يا أيها الذين آمنوا بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله. امنوا بأن : كنه الله تعالى وعظمته ، وكذلك أحوال الملائكة ، وأسرار الكتب ، وصفات الرسل ، لا ينتهى إليها عقولهم) (١٠٨) .

وما دام الأمر كذلك : فثقوا بالله ورسوله إذا .

وعلى ذلك فالإيمان هنا بمعنى : الثقة .

(جـ) قال تعالى :

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾(١١٠).

---

(١٠٨) غرائب القرآن : ١٤٥/١ .

(١٠٩) سورة النساء : الآية ١٣٦ .

(١١٠) سورة محمد : الآية ٢ .

قال الإمام القرطبى فى قوله تعالى :

﴿ وآمنوا بما نزل على محمد ﴾ .

قال سفيان الثورى : لم يخالفوه فى شىء .

وقيل : صدقوا محمدا فيما جاء به[111] .

وما ذلكم التصديق ، وما انعدام المخالفة ، إلا بسبب الثقة فى محمد ﷺ ، ورب محمد سبحانه وتعالى ، وما نزل على محمد ﷺ .

(د) قال تعالى :

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾[112] .

لم يرتابوا : أى لم يشكوا ، أى : وثقوا فى الله ورسوله ، وبالله ورسوله ، ثقة كاملة ، جاهدوا بسببها ، ونتيجة لها ، بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، واستحقوا صفة الصدق « أولئك هم الصادقون » .

وهنا نلاحظ : أن القرآن الكريم بذلك يركز على الثقة ، صفة فى اتباع هذا الدين ، وأداة من أدوات امتلاكهم لمؤهلات التقدم والنهضة .

وبالثقة يصبح الإيمان بالله ورسوله أداة فعالة مؤثرة فى حركة الكون والحياة ، وسلمالبلوغ أسمى الغايات ، وأنبل المقاصد .

ثانيا : فى السنة النبوية :

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، قال :

---

(111) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٤/١٦ .

(112) سورة الحجرات : الآية ١٥ .

« انتدب الله لمن خرج فى سبيله – لا يخرجه إلا إيمان بى[113]، وتصديق برسلى – أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل »[114] .

« لا يخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى » .

أى : إلا ثقة بى ، وتصديق برسلى .

ولولا هذه الثقة ما كان خروج فى سبيل الله تعالى ابتغاء النصر أو الشهادة.

ولولا هذه الثقة : ما كان حب العبد لله ورسوله يفضل حب كل ما سواهما ، كما فى الحديث السابق :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن ... إلخ » .

إنه التركيز النبوى على الثقة كذلك .

ثالثا : فى اللغة ، وفهم الأخيار من الصحابة وغيرهم .

(أ) فى لسان العرب :

الإيمان : هو الثقة .

(ب) قال عبد الله بن مسعود : (اليقين ، الإيمان كله)[115] .

(ج) قالوا للخليل بن أحمد : ما الإيمان ؟

قال : الطمأنينة[116] .

إن الإيمان هو : الثقة .

---

(113) أى : بالله سبحانه وتعالى ، وذلك من باب الالتفات .

(114) رواه البخارى . كتاب الإيمان ، باب : الجهاد من الإيمان .

(115) ابن منظور : لسان العرب . باب : أمن .

(116) فتح البارى ٤٥/١ .

إن هذه الأداة إذا : هى – فوق كل ما هو معروف عن الإيمان فى اصطلاح علماء الشرع – الثقة .

نعم .. إنها الثقة .

الثقة بهذا الدين ، الثقة بهذا الإيمان ، الثقة بالله ورسوله ، الثقة بقوة هذه الأداة – وهى الإيمان – الثقة فى أحقية التقدم بها على سائر الأمم ، بل الثقة فى التقدم على سائر الأمم بامتلاكها ، الثقة فى ارتقاء سنام النهضة بفضلها .

نعم : إنها الثقة التى يتصف بها فريق من المؤمنين ، وهم الذين وعدهم الله تعالى بما وعدهم فى آية النور ، (تذكرة الدواء الإلهية) .

وهى على ذلك : ثقة الطمأنينة ، لا ثقة الغرور ، ثقة التوكل على الله ، لا ثقة تواكل الضعفاء .

بهذه الثقة : يفيق المسلمون من نومهم ، وينهضون من كبوتهم ، ويخرجون من أزماتهم .

بهذه الأداة – مع غيرها من الأدوات – ينزاح كابوس تفوق الغير عليهم ، ويسقط حمل الأحباط من فوق كواهلهم .

بهذه الأداة : يتحول قوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[١] .

من قول يرددونه إلى عمل يحولون به وجه الحياة ، إلى التى هى أقوم ، فى كل أمور الحياة والأحياء .

بهذه الأداة : يتحول قوله تعالى :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾[٨٥] .

من كلام أجوف لا يجاوزون إجادة نطق ألفاظه ، ومعرفة أحكام تلاوته ، إلى هدف سام يسعون من أجل تحقيقه ، ويتعلمون ويمتلكون كل ما يمكنهم من تحقيق هذا التكليف الإلهى الذى خصهم به ، وشرفهم بقلادته .

بهذه الأداة : تتحقق القوة المطلوبة منهم فى قوله تعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ﴾(٦٦) .

بهذه الأداة : يتم لهم الاعتصام بحبل الله المتين ، فى وحدة تجمع الصف وتؤلف القلوب ، وتوحد الهدف .

بهذه الأداة : لا يكون للخوف ، أو الشك ، أو السلبية ، أو الدونية ، مدخل إلى قلوبهم أو عقولهم .

بهذه الأداة .

بهذا اليقين .

ينتقلون إلى فهم دينهم فهما صحيحا فى حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز .

١ – الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خُلُق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء .

٢ – والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى تعرُّف أحكام الإسلام ، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع فى فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

٣ – وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله فى قلب من يشاء من عباده ، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤ – والتمائم والرُّقى والوَدعُ والرَمْل والمعرفة والكهان وإدعاء معرفة الغيب ، وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته « إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة » .

٥ – ورأى الإمام ونائبه فيما لا نص فيه ، وفيما يحتمل وجوهاً عدة وفى المصالح المرسلة ، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية . وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات . والأصل فى العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعانى ، وفى العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد .

٦ – وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكنا لا نعرض للأشخاص – فيما اختلف فيه – بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدموا .

٧ – ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع فى تعرف أدلته، وأن بتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمى إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر .

٨ – والخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سبباً للتفرق فى الدين ، ولا يؤدى إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف فى ظل الحب فى الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة ، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

٩ – وكل مسألة لا ينبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نهينا عنه شرعاً ، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التى لم تقع ، والخوض فى معانى الآيات القرآنية الكريمة التى لم يصل إليها العلم بعد ، والكلام فى المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيَّته ، وفى التأول مندوحة .

١٠ – معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه ، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين

العلماء ؛ ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه : ﴿ **والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا** ﴾[117] .

١١ – وكل بدعة فى دين الله لا أصل لها – استحسنها الناس بأهوائهم – سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه – ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى إلى ما هو شر منها .

١٢ – والبدعة الإضافية والتَّرْكِيَّة والالتزام فى العبادات المطلقة خلاف فقهى ، لكل فيه رأيه ؛ ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ – ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى ، والأولياء هم المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾[118] والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فى حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم .

١٤ – وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أياً كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة .

١٥ – والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى فى كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة .

١٦ – والعرف الخاطىء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصود بها ، والوقوف عندها . كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

---

(١١٧) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(١١٨) سورة يونس : الآية ٦٣ ، سورة يوسف : الآية ٥٧ ، سورة النمل : الآية ٥٣ ، سورة فصلت : الآية ١٨ .

١٧ – والعقيدة أساس العمل ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعا ، وإن اختلفت مرتبتا الطلب .

١٨ – والإسلام يحرر العقل ، ويحث على النظر فى الكون ، ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء . و« الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها » .

١٩ – وقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى ما لا يدخل فى دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى . فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ؛ ويؤوَّل الظنى منهما ليتفق مع القطعى ، فإن كانا ظنّيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار .

٢٠ – لا نكفّر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض – برأى أو معصية – إلا أن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذّب صريح القرآن ، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر[١١٩] .

وبهذا الفهم الشامل واليقين الناضج : ينتقلون إلى امتلاك الأدوات الأخرى لتقدمهم ونهضتهم .

أملا فى حسن تحقيق مطلوب الله تعالى من عباده « فى آية سورة النور » من تملك أدوات التقدم وشروط النهضة .

وتوصلا إلى نيل وعد الله سبحانه وتعالى فيها ، بوصفها نتائج لهذا التقدم وثمارا لهذه النهضة .

فإلى الأداة الأخرى من أدوات التقدم والنهضة فيما يلى :

---

(١١٩) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ٣٥٦ وما بعدها .

العمـــل الصالـــح

وهو الأداة الثانية من أدوات التقدم ، وهو الطريق الموصل لبلوغ قمم المجد ، والمخرج العملى من بؤرة التخلف ، وبه الانتصار الحقيقى على الأزمات المحيطة بالمسلمين وبه – كذلك – تكون النهضة .

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ... ﴾ .

ولابد أن تكون مسبوقة بالأداة الأولى ، وهى الإيمان ، وهى الثقة فى النفس وفى صلاحية هذه الأداة لبلوغ التقدم .

ولابد كذلك أن تكون متبوعة بالأداة الثالثة ، وسيأتى الحديث عنها بإذن الله قريبا .

وهذه الأداة بدون الأولى لا تساوى شيئا فى ميزان الإسلام ؛ ومهما أدت إلى بلوغ التقدم ، وخدعت بمظاهر النهضة ؛ فلا يمكن أن ينال أصحابها بسببها – كما سنرى قريبا – نتائج هذا التقدم ، ولا ثمار هذه النهضة .

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا *

الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا *

أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا *

ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا﴾[١٢٠] .

ويقول رب العزة أيضا :

---

(١٢٠) سورة الكهف : الآيات ١٠٣ – ١٠٦ .

﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتو عتوا كبيرا * يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا *

وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾[١٢١].

إذا فلابد من اقتران الأداتين معا .

الأداة الأولى : الإيمان .

الأداة الثانية : العمل الصالح .

﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له لكاتبون ﴾[١٢٢].

ويزيد القرآن الأمر تأكيدا وتوضيحا وتفصيلا فيقول :

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾[١٢٣].

ومن الضرورى – أيضا – أن يكون معلوما : أن المراد بالعمل الصالح ، ليس فقط هو الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، و ... إلخ .

بل هو : أمر يشمل هذه العبادات وغيرها ، اقرأ معى :

١ – **﴿ إن الذين**

آمنــوا

وعملوا الصالحات

وأقاموا الصلاة

وآتوا الزكاة

(٣٩) سورة الفرقان : الآيات ٢١ – ٢٣ .
(١٢٢) سورة الأنبياء : الآية ٩٤ .

(١٢٣) سورة النساء : الآية ١٢٤ .

هم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾[١٢٤] .

٢ - ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

فقد وصف المولى الذين استثناهم ممن هم فى خسر ، بصفات أربع :

الذين آمنوا

وعملوا الصالحات

وتواصوا بالحق

وتواصوا بالصبر .

والعطف بين هذه الصفات يقتضى التغاير ، كما هو فى الآية التى قبلها .

ومن هنا فسر الإمام الطبرى : « وتواصوا بالحق » بقوله :

يقول : «وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله فى كتابه : من أمره ، واجتناب ما نهى عنه الله فيه »[١٢٥] .

ويفسر الإمام القرطبى : « وتواصوا بالصبر » بقوله :

(الصبر على طاعة الله عز وجل ، والصبر عن معاصيه »[١٢٦] .

ولابد أن يكون معنى قوله تعالى : « وعملوا الصالحات » على هذا : أمرا غير هذا وذاك ، أو أمرا فوق هذا وذاك .

فما بيان ذلك ؟

نعم .. العمل الصالح .

الصالح : مأخوذ من الصلاح ، الذى هو ضد الفساد .

---

(١٢٤) سورة البقرة : الآية ٢٧٧ .

(١٢٥) جامع البيان ٢٩٠/٣٠ .

(١٢٦) الجامع لأحكام القرآن ١٨١/٢٠ .

والصلاح والفساد : مختصان فى أكثر الاستعمال بالأفعال[١٢٧].

هذا ..

وقد قوبل العمل الصالح فى القرآن : تارة بالسيئة .

كما فى قوله تعالى :

**﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم *

وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾**[١٢٨] .

وقوبل تارة بالفساد .

كما فى قوله تعالى :

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾[١٢٩].

وكما فى قوله تعالى :

**﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار *

أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**[١٢٩] .

---

(١٢٧) انظر : الراغب الأصفهانى المفردات ، كتاب الصاد .

(١٢٨) سورة التوبة : الآيات ١٠١ ، ١٠٢ .

(١٢٩) سورة الأعراف : الآية ٨٥ . سورة ص : الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

وكما فى قوله تعالى فى مواضع كثيرة :

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ .

والذى يعنينا هنا : هو ما يقابل الفساد .

وهو المراد إذا فى تذكرة الدواء الإلهية(٨٨) :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ... ﴾ .

وقد ركز القرآن الكريم على عمل الصالحات بهذا المعنى كثيرا ، حيث كرر ذلك ما يقرب من ستين مرة فى آياته الكريمة(١٣٠) .

وعمل الصالحات بهذا المقصود : يراد به عمارة الكون ، وصلاح الدنيا ، وامتلاك ناصيتها .

ولن يوصل العمل لهذا الهدف إلا إذا كان ثمرة للعلم والإخلاص : **﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملَكُم ورسولُه والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ .**

كما ينبغى أن يكون وفق هذه المراتب والدرجات(١٣١) :

١ - إصلاح المرء نفسه حتى يكون: قوى الجسم، متين الخلق ، مثقف الفكر ، قادراً على الكسب ، سليم العقيدة ، صحيح العبادة ، مجاهداً لنفسه ، حريصاً على وقته ، منظماً فى شئونه ، نافعاً لغيره ، وذلك واجب كل مسلم على حدته .

٢ - تكويـن بيت مسلم ، بأن يحمل أهله على احترام فكرته ، والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية ، وحسن اختيار الزوجة ، وتوقيفها على حقها وواجبها ، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادىء الإسلام . وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك .

---

(١٣٠) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

(١٣١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص ٣٥٩ وما بعدها .

٣ - وإرشاد المجتمع ، بنشر دعوة الخير فيه ، ومحاربة الرذائل والمنكرات ، وتشجيع الفضائل ، والأمر بالمعروف ، والمبادرة إلى فعل الخير ، وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية ، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائما . وذلك واجب كل أخ على حدته ، وواجب الجماعة كهيئة عاملة .

٤ - وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبى - غير إسلامى - سياسى أو اقتصادى أو روحى .

٥ - وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق ، وبذلك تؤدى مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها . والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان ، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه .

ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة فى غير مناصب الولاية العامة ولا عبرة بالشكل الذى تتخذه ولا بالنوع ، ما دام موافقاً للقواعد العامة فى نظام الحكم الإسلامى .

ومن صفاتها : الشعور بالتبعة ، والشفقة على الرعية ، والعدالة بين الناس ، والعفة عن المال العام ، والاقتصاد فيه .

ومن واجباتها : صيانة الأمن ، وانفاذ القانون ، ونشر التعليم ، وإعداد القوة ، وحفظ الصحة ، ورعاية المنافع العامة ، وتنمية الثروة وحراسة المال ، وتقوية الأخلاق ، ونشر الدعوة .

ومن حقها - متى أدت واجبها -: الولاء والطاعة ، والمساعدة بالنفس والأموال .

فإذا قصرَّت ، فالنصح والإرشاد ، ثم الخلع والابعاد ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

٦ - وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية ، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافاتها وجمع كلمتها ، حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة .

٧ – وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه : ﴿ **حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكون الدينُ كلهُ لله** ﴾[١٣٢] ، ﴿ **ويأبى الله إلا أن يُتم نورهَ** ﴾[١٣٣] .

وهذه المراتب الأربعة الأخيرة تجب على الجماعة متحدة وعلى كل أخ باعتباره عضواً فى الجماعة ، وما أثقلها تبعات وما أعظمها مهمات ، يراها الناس حيالاً ويراها الأخ المسلم حقيقة ، ولن نيأس أبداً ، ولنا فى الله أعظم الأمل : ﴿ **والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[١٣٤] .

وعمل الصالحات بهذا المفهوم وبهذه المراتب : هو المدخل لعلاج الأزمات التى تجثم على صدر المجتمعات الإسلامية ، وهو الطريق لكل تقدم ، والأساس لكل رقىّ ، والسلم لبلوغ أية نهضة .

وبدون فهم العمل الصالح بهذا المعنى !!

وبدون مراعاة مراتب العمل الصالح ، وفق ما حدد الإمام الشهيد !!

وبدون القيام بالعمل الصالح انطلاقا من هذا المفهوم !!

وبدون حرص الجماعة الإسلامية – وجديتها ، وتشجيعها – على العمل الصالح بصورة فعالة ..!!

سنظل نعانى أزمات : التخلف ، والانحطاط ، والحروب ، والاحباط ، والتبعية فى الغذاء والكساء والدواء ، بل فى الفكر أيضا .

والعمل الصالح بهذا المعنى : يتسع شمولا واستيعابا ، لكل ما من شأنه أن يساعد على : عمارة الكون ، وصلاح الدنيا ، وامتلاك المسلمين لناصيتها .

ومن المستحيل – كما يقول الشيخ محمد الغزالى ، أعزه الله – إقامة مجتمع ناجح الرسالة ، إذا كان أصحابه جهالا بالدنيا ، عجزة فى الحياة .

---

(١٣٢) سورة الأنفال : الآية ٣٩ .

(١٣٣) سورة التوبة : الآية ٣٢ .

(١٣٤) سورة يوسف : الآية ٢١ .

ويقول :

والصالحات المطلوبة ، تصنعها : فأس الفلاح ، وإبرة الخياط ، وقلم الكاتب ، ومشرط الطبيب ، وقارورة الصيدلى ، ويصنعها الغواص فى بحره ، والطيار فى جوه ، والباحث فى معمله ، والمحاسب فى دفتره .

يصنعها المسلم صاحب الرسالة وهو يباشر كل شىء ، ويجعل منه أداة لنصرة ربه وإعلاء كلمته !!

وإنه لفشل دفعنا ثمنه باهظا عندما خبنا فى ميادين الحياة ، وحسبنا أن مثوبة الله فى كلمات تقال ومظاهر تقام ..

تخيل رجلاوصل إلى الحكم وقال لأتباعه :

أمامكم أجهزة الدولة أديروها لاثبات وجودكم وتحقيق هدفكم .. فإذا هم يتركون الأجهزة عاطلة ، ويجتمعون بين الحين والحين أمام قصره للهتاف باسمه ! إنه لو طردهم من ساحته ما بغى عليهم ، ولو أمر الحراس بضربهم ما ظلمهم ، إنهم مخربون لا مخلصون !

ومن قديم رأى نفر من العابدين أن يحصروا عبادتهم فى الصلوات والأذكار ، يبدأون ويعيدون ويظنون أن الأمم تقام بالهمهمة والبطالة ، فمن ينصر الله ورسله ؟ إذا كان أولئك جهالا بالحديد وأفرانه ومصانعه ؟ والله يقول فى كتابه :

﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾(١٣٥) .

إن هناك سبعين صناعة مدنية وعسكرية تتعلق بالنفط واستخراجه والانتفاع بمشتقاته ، لا نعرف منها شيئا ، فهل تخدم - بضم التاء - عقيدة التوحيد وما ينبنى عليها بهذا العجز المهين ..؟

إنه لو قيل لكل شىء فى البلاد الإسلامية : عد من حيث جئت ، لخشيت أن يمشى الناس حفاة عراة ، لا يجدون - من صنع أيديهم - ما يكتسون ، ولا ما

---

(١٣٥) سورة الحديد : الآية ٢٥ .

ينتعلون ، ولا يركبون ، ولا ما يضيء لهم البيوت .. بل لخشيت أن يجوعوا لأن بلادهم لا تستطيع الاكتفاء الذاتى من الحبوب !!

إن الله لا يقبل تدينا يشينه هذا الشلل المستغرب ، ولا أدرى كيف نزعم الإيمان والجهاد ونحن نعانى من هذه الطفولة التى تجعل غيرنا يطعمنا ويداوينا ؟! ويمدنا بالسلاح إذا شاء ..

إنها طفولة تستدعى الكافل المهيمن ، والحديث عن إنجاح رسالة ما – ونحن فى طوقها – حديث يثير الهزء ، فما للأطفال وتكاليف الأبطال ؟!

ثم يقول :

ولقد راقبت الكثير من الشبان الذين يستحبون خدمة دينهم ، وأفزعنى أن الخطل الموروث يهيمن عليهم ، إنهم لا يحسبون عرق الجبين فى البحث عن البترول ، أو تلوث الجبهة وراء آلة دوارة ، لا يحسبون ذلك جهادا ، إن الجهاد فى وهمهم تلاوات وأوراد ، وتكرار ما تيسر من ذلك ما دام فى الوقت متسع ..

وقد رأيت صيدليا مشغولا ببحث قضية (صلاة تحية المسجد) فى أثناء خطبة الجمعة ، ومهتما بترجيح مذهب على مذهب ، فقلت له : لماذا لا تنصر الإسلام فى ميدانك ، وتدع هذا الموضوع لأهله ؟

إن الإسلام فى ميدان الدواء مهزوم ! ولو أراد أعداء الإسلام أن يسمموا أمته فى هذا الميدان لفعلوا ، ولعجزتم عن مقاومتهم !

أفما كان الأولى بك وبإخوانك أن تصنعوا شيئا لدينكم فى ميدان خلا منه ، بدل الدخول فى موازنة بين الشافعى ومالك ؟

وسألنى طالب بأحد أقسام الكيمياء عن موضوع شائك فى علم الكلام ! فقلت فى نفسى : أن جائزة (نوبل) لهذا العام قسمت بين نفر من علماء الكيمياء ليس فيهم عربى واحد ، وحاجة المسلمين إلى الاستبحار فى علوم الكيمياء ماسة ، وقد أوردت فى بعض كتبى كيف أباد الروس قرية أفغانية عندما شنوا عليها حربا كيماوية ، وذهب الضحايا فى صمت ، وتسامع جمهور المسلمين بالنبأ وهو لا يدرى شيئا عما كان أو يكون ..

قلت للطالب السائل :

إن ما تسأل عنه درسناه قديما ، وحكايته كيت وكيت ، وخير لك أن تنصرف عن هذا الأمر وأن تقبل بقوة على ما تخصصت فيه ، إننا فقراء إلى النابغين فى المادة التى تتعلمها ، وأغنياء عن المشتغلين بالفلسفات الكلامية ..

واستتليت ضاحكا :

كانت الكيمياء قديما تهتم بتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب ، وتحدث الشعراء عن كيمياء الحظوظ التى ترفع السفلة إلى مناصب العلا !

وسألنى الطالب وهو يضحك أيضا عن كيمياء الحظوظ هذه ؟

فذكرت له بيتى ابن الرومى :

إن للحظ كيمياء إذا ما مس كلبا أحاله إنسانا
يرفع الله ما يشاء متى شاء كما شاء كائنا ما كان

والحظوظ قد تلعب دورا فى الحياة ، ولكنه ثانوى محدود ، أما ارتفاع الأمم وانخفاضها فيرجع إلى قوانين صارمة وأقدار جادة ، والمسلمون لم يظلموا عندما هزموا فى سباق الحياة ! إنهم شوهوا معنى التدين فانهزموا بجدارة ..

وعدت أقول للطالب :

تعمق فى علوم الكيمياء فهذا أجدى على الإسلام من انكبابك على بعض قراءات دينية تخصصية ليست مطلوبة منك ، وحسبك من فقه الدين ما ينطبع فى فؤادك وأنت تقرأ القرآن الكريم ، ثم سر وراء نبيك البطل ﷺ وتعلم منه كيف غير الدنيا باسم الله .

وانصرفت عن الطالب الحائر وما أدرى هل اقتنع أم لا ؟!

إنه مع كثير من الشباب يظنون التقوى : بذل وقت أكبر فى القراءات الدينية ، والأخذ بقدر يسير من شئون الدنيا وعلوم الحياة ، ولعمرى أن الإسلام لا يكسب خيرا من هذا المسلك ، ولا تنتصر عقائده إذا كان أهله فى بلاهة الهنود الحمر ، وكأن أعداؤه يملكون (مكوك) الفضاء !!

أملك ناصية الحياة بعلم واقتدار تقدر على نصرة الحق الذى تعتنق ، أما قبل ذلك فهيهات ولسوف يسبقك الدهاة والشطار(١٣٦) ..!!

ثم يقول فى موضع آخر مما يطيب أن أنقله – لقيمته النفيسة – حرفيا تحت هذا العنوان الذى عنونت به لهذه الأداة الثانية من أدوات التقوم :

إنه أمر مثير للعجب أن يعيش جمهور المسلمين من بضعة قرون ، لا يعرفون عن الكون شيئا يذكر ، وأن تكون علومه ثانوية فى ثقافتهم الخاصة والعامة ، وأن يكون التعرف على أسراره وقواه شيئا كماليا خفيف الوزن عند البعض ، وضربا من اللغو والعبث عند البعض الآخر !!

فما الذى استحوذ على انتباههم من فنون المعرفة ؟ كلام فى دين الله لو عرفه سلفهم ما فتحوا بلدا ولا أنشأوا حضارة !!

فى الوقت الذى صُدَّ فيه المسلمون عن الدراسات الكونية أَوْغَلَ آخرون فى طريقها ، وحققوا مآرب رهيبة ، ثم طوعوها لنصرة عقائد باطلة وفلسفات وضيعة ..!!

إن هذه القطيعة الموحشة بين الدين من ناحية وبين الكون والحياة من ناحية أخرى ينكرها الإسلام كل الانكار ، ويطلب من عباد الله الصالحين مسلكا يناقضها كل المناقضة ..

قد تقول : نحن نعرف ذلك ولا جديد فيما تحكى ..!

وأجيب : لا يزال الشباب الذى يريد المتاب والعمل للإسلام يدير ظهره للدنيا وعلومها ، ويخفف حقائبه من البحوث الكشافة للقوى الحيوية الكثيرة ، ويظن الذكر والشكر فى العبادات المحضة !

ثم يقول :

كنت فى بعثة إلى (نواكشوط) عاطمة موريتانيا الإسلامية تهتم بشئون الدعوة .. ورأيت هناك جماعة من الشيوعيين الصينيين لا يعملون للسماء وإنما

---

(١٣٦) الشيخ محمد الغزالى . انظر : مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ص ١٣ وما بعدها .

يعملون للأرض ، استطاعوا اكتشاف منابع للمياه العذبة ، ومدوا شبكة للأنابيب إلى الأراضى التى كانت تحتاج إلى المياه !

ورأيت هؤلاء الشيوعيين الصينيين فى اليمن الشمالى يشقون فى قلب الصحراء ، وبين سلاسل الجبال طرقا (مزفتة) أو (مسفلتة) بتعبير العوام :

فقلت فى نفسى : من أقصى الشرق ، من بعيد بعيد ، يجىء هؤلاء ليصنعوا فى بلادنا ما يصنعون ! فماذا نعمل نحن ؟

لقد شعرت بالغيظ عندما علمت أن قطرا إسلاميا كان يصدر القمح أيام كان مستعمرة ، فلما استقل ، ووقع زمامه بين أيدى أهله أقشعرت الأرض ، وبدأ استيراد القمح من الخارج !!

وشعرت بالاستحياء وأنا أحصى الدول الصناعية المنتجة فلا أجد ، بين العشر الأولى ، ولا بين العشر الثانية ، ولا ... دولة مسلمة واحدة !!

ومعروف أن اليابان بدأت نهضتها من قرن تقريبا ، وأن شعوبا إسلامية بدأت نهضتها فى الزمان نفسه ، ووصلت اليابان إلى الذروة وبقينا نحن فى السفح ..

ما السبب ؟ قد يكون لفساد الجو السياسى دخل كبير ! ولكن فساد الجو الثقافى له - فى نظرى - دخل أكبر .

ما تقول فى فتيان يريدون إشعال معركة من أجل قضايا جزئية تتعلق باللباس وغيره هى أقرب إلى سنن العادة منها إلى سنن العبادة ، وقد تأتى فى نهاية سلم الأولويات .

إن دين الله لا يقدر على حمله ولا على حمايته الفاشلون فى مجالات الحضارة الإنسانية الذكية ، الثرثارون فى عالم الغيب ، الخرس فى عالم الشهادة ...

وأشعر بأن فقر المسلمين إلى الاستبحار العلمى لخدمة دينهم ودنياهم يحتاج إلى شرح أكثر ، فإن تبجح الجهال بما لديهم من معارف مغشوشة ، أو قاصرة أمر لا يطاق ، وإذا لم نوضح لأمتنا الحق كله تعرضت وتعرضنا معها للهلاك ..

ولأنقل إلى القارىء خلاصات وجيزة عن سير التقدم العلمى فى العالم الحديث ، ليعرف أية هاوية سنتردى فيها إذا لم نغير أنفسنا .

شىء عن التقدم العلمى :

ألقى الدكتور محمد كامل محاضرة فى هذا الموضوع نقتبس منها هذه العبارات ، مع تصرف فى الصياغة اللفظية ، قال :

من قرن وثلث فقط بدأ التطبيق الواعى للعلم فى ميادين الصناعة والزراعة والطب ..

استطاع عالم انجليزى تحضير مركبات كيماوية ملونة تحل محل الصبغات الطبيعية المعروفة ، ونتج عن ذلك الكشف ظهور الأصباغ والأدوية والأسمدة المخصبة ، والمبيدات الحشرية والألياف .. إلخ .

استخدمت الأساليب العلمية فى جميع الصناعات ، وتنافست فى هذا المجال انجلترا وفرنسا وألمانيا أولا ، ثم لحقت الولايات المتحدة بهذه الدول فى القرن الماضى .. وأخيرا الاتحاد السوفيتى واليابان ..

بعد الحرب العالمية الثانية أصبح التقدم العلمى يسير بخطوات فساح ، ومعدلات خيالية ! وثبت أن ٨٠٪ من الدخل الموجود فى الدول الصناعية يرجع إلى هذا السبق ، وأن ٢٠٪ يرجع إلى تراكم رأس المال .

أدرك الناس جميعا خطورة التقدم العلمى من الناحيتين النظرية والتطبيقية ، فشرعوا يتجهون إليه ، وصفوة العلماء – فى الدول الكبرى – مشغولون الآن ولبضع سنين ، بالبحث فى قشرة الأرض وما تحتوى عليه من يابسة وماء وهواء ، وقد أقروا الآن نظرية فى (التركيبات الأرضية اللوحية !) – ترجمة حرفية لنص انجليزى – ولهذه النظرية ارتباط مباشر بعدة قضايا ، منها : احتمالات العثور على الثروات المعدنية والنفطية ومستودعات الغاز الطبيعى ، واختيار الأماكن التى تدفن فيها النفايات الناتجة عن المفاعلات الذرية ، ومتابعة الحركة المعقدة للمحيطات وتياراتها ، ومعرفة الأسس لتغير الجو ، وحدوث الجفاف ، ورسم

صور لأعماق البحار واستخراج عينات من صخورها ، وأخطار زيادة الكربون فى الجو ... إلخ .

ثم هناك التطبيق العلمى الواسع لكشوف الفضاء ، وعمل الأقمار الصناعية ، ودراسة الصور التى تقدمها لنا عما يقع فى هذه الأرض من حركات مدنية وعسكرية !! وإمكان الإفادة من هذه الأقمار فى عالم الاعلام والبث الإذاعى .

ترى ماذا نقول للناس فى هذا البث ؟

ومضى المحاضر يتحدث عن آفاق التقدم العلمى المعاصر ، فتطرق إلى علم الأحياء ، وبين أنه خطا إلى الأمام ، فبعد أن كان علما وصفيا ، يعنى بسلوك وتركيب الكائنات الحية كلها ، ويشرح وظائف أعضائها ، تحول إلى علم تحليلى يهتم بتكوين الخلايا الحية منذ نشأتها الأولى مستعينا بالأجهزة الحديثة مثل (الميكروسكوب الألكترونى) الذى يستطيع تكبير الأشياء آلاف المرات ، وأجهزة الطرد المركزى التى أمكنت من فصل أجزاء الخلية وجزيئاتها ، والأشعة السينية التى تعطى فكرة عن التركيب البلورى للمواد ، والرنين النووى المغناطيسى الذى يساعد على تركيب الجزئيات ، بالإضافة إلى التطورات الكبيرة الناتجة عن استخدام النظائر المشعة !

لقد استطاع العلماء – بهذه الأدوات – نقل الجزيئات الحاملة للصفات الوراثية من كائن حى إلى كائن آخر ، وقد تدخل (الكونجرس) الأمريكى ومنع المضى فى هذه البحوث ، لأنه خشى أن تتولد من عمليات النقل جراثيم تقضى على الحياة البشرية ..

قال المحاضر :

وقد اتجه العلماء ببحوثهم فى مجال الهندسة الوراثية إلى البكتريا والفيروسات ، ومنها إلى الكائنات الأكثر تعقيدا بعد توفير ضمانات معينة ، طمأنت المسئولين ..

وصعد البحث من الأرض إلى السماء ، والصورة المرتسمة الآن فى أذهان العلماء أن الكون يحتوى على ملايين المجرات الموزعة فى الفضاء على جميع الاتجاهات بشكل متجانس ، وأن هذا الكون يتمدد ، وقد يظل كذلك حتى ينفجر ..

ثم تحدث المحاضر عن (الحاسبات الالكترونية) قائلا : أن توسعا هائلا دخل فى صناعتها ، وأن المواد نصف الموصلة قد تطورت من ١٠٠٤ قطعة من المعلومات لكل شريحة سنة ١٩٧١ إلى ٦٤ ألف قطعة معلومات لكل شريحة سنة ١٩٧٨ ، وأن هذه الحاسبات ستدخل البيوت فى الولايات المتحدة خلال عشرين سنة ، ومن الممكن تصور استخدام الحاسب لتنفيذ مطالب معينة عن طريق التليفون ، كطهى الطعام فى الأفران ، وغسل الملابس ، وتسجيل المواعيد ، والاشراف الطبى على المرضى ، والحراسة والإنذار عند الخطر ، والجلوس مع الأطفال .. إلخ .

ثم يقول الشيخ الغزالى !!

إننى أبحت لنفسى هذا التلخيص كى يشعر المسلمون بأن ضيق الأفق قاتلهم لا محالة ، وأن العزلة عن الكون وعلومه جريمة فى حق الإسلام وأهله ، وأن تأييد الحق الذى شرفهم الله به : لا يتم بالقصور العلمى ، وحسبان الدين مراسم جوفاء[١٣٧].

ولأن عمل الصالحات بهذا المفهوم : أمر ، خطير الأهمية ، بالغ الأثر ، جليل الفائدة !!

ولأن من يقوم بالعمل الصالح من هذا المنطلق ، ويعمر الكون ، ويسخر الحياة ، ويذلل عقباتها ، ويكتشف مجاهيلها ؛ خدمة لخلق الله ، وطاعة – فى نفس الوقت – لله تعالى : إنسان شجاع القلب ، كبير الهمة ، واسع الإدراك ، يحب

---

(١٣٧) الشيخ محمد الغزالى ، نفس الكتاب ص ٢٣ وما بعدها .

الخير لكل الناس كما يحبه لنفسه ، يقوم بفعل الصالحات بدافع الإيمان ، وبهدف الامتثال لأوامر الله تعالى ، دون انغلاق فى فهم هذه الصالحات ، أو تقصير فى القيام بها ، أو تواكل يؤدى إلى تركها !!

فقد كان جزاء من يعملون هذه الصالحات بهذا المفهوم محققا لهم :

أولا : فى الدنيا :

(أ) الخروج من الظلمات إلى النور .

﴿ فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا * رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ﴾(١٣٨) .

(ب) نتائج التقدم وثمار النهضة :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾(٨٨) .

وسنتحدث ، بإذن الله تعالى ، على هذه النتائج فى الباب الثالث .

ثانيا : فى الآخرة :

الفضل الكبير :

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير * ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾(١٣٩).

وفى بيان هذا الفضل الكبير ، من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث رسول الله ﷺ شرح طويل يصرفنا السير فيه عن غرض البحث .

---

(١٣٨) سورة الطلاق : الآية ١١ .

(١٣٩) سورة الشورى : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

وبعد ...

خبرونى بربكم !!

« هل[١٤٠] يستفيد المجتمع الإسلامى من طالب فى السنة النهائية فى الطب أو الهندسة يترك دراسته ليهاجر إلى الجبال ، أو يستفيد أكثر لو استمر هذا الطالب فى دراسته وتخرج طبيبا مسلما رحيما ينشر الإسلام برحمته فى علاج الخلق ؟ وما الذى يستفيده المجتمع من مكتشف أو مخترع أو عالم أو عبقرى قد جلس فى صومعته واعتزل الدنيا فى انتظار مجىء المجتمع الفاضل ؟

إن المجتمع الفاضل لا تصنعه الشعوب بالجلوس فى انتظاره ، إنما تصنعه بالعمل والجهد والأخذ بحقائق العصر وأسباب العلم ..

وهذا ما فهمه السابقون من أسلافنا وهذا ما لم يفهمه اللاحقون من الأبناء ..

إن خريطة العالم الإسلامى تحدثنا عن حقائق كثيرة محزنة ..

إن العالم الإسلامى لا ينتج الطعام الذى يأكله ، ولا يصنع الملابس التى يرتديها ، ولا يصنع السلاح الذى يحارب به – كما سبقت الإشارة – وهذا يعنى خضوع هذا المجتمع بشكل أو بآخر لوسائل من الضغط تهدده فى حياته وفى أمنه ..

هل يستفيد مجتمع كهذا من طاقة إنسانية تعتزل الحياة أو يستفيد لو وضعت هذه الطاقة نفسها فى خدمة الإسلام بهدف تطوير المجتمع ؟

إن حاجة الدين إلى الدنيا لكى يستقر ويمتد .. كحاجة الروح إلى البدن السوى كى يسمع ويبصر ويمشى ..

هذه عبارة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى فى كتابه (كيف نفهم الإسلام) ولقد أدرك علماؤنا الأجلاء حقيقة العلاقة بين الدين والدنيا .

---

(١٤٠) إبراهيم نافع : الأهرام عدد ٣٦٠٠٩ فى ٢٥ شوال ١٤٠٥ هـ – ١٢ يوليه ١٩٨٥م، ص٣.

يقول الأستاذ الشيخ محمد الغزالى :

إن الحياة فرصة ينبغى انتهازها .. وكل لحظة يقضيها الإنسان فى هذه الدنيا يمكن أن يصنع فيها شيئا ما .. فلا يجوز التهجم لها ، ولا القعود عنها ، ولا العجز عن أسبابها ، ولا الانصراف عن أبوابها . إن التماوت قبل الموت هروب من وظيفة المرء فى الوجود ، ونكول عن حمل تكاليف الحياة ، وجهالة بأسرار الحكمة العليا ، وهذا التماوت لا يمكن أن يكون دينا .

إن الدين حركة إصلاح للحياة إذا شردت ، وتوجيه لقواها الدائبة كى تعرف ربها وتتقيه .

وقد تسربت إلينا جراثيم هذا التماوت مع بعض الفلسفات الانسحابية التى ولدتها أفكار المتشائمين ومشاعر المنهزمين ، ثم انتشر هذا الوباء مع انتشار ألوان معينة من التصوف فى الأمة الإسلامية ، ومع فساد قواعد الحكم ومناهج التربية خلال القرون الأخيرة .

فكانت عقباه أن عاش جمهور المسلمين فوق أرض لا يحسنون استغلالها .. وتحت سماء لا يرمقون آفاقها ، وفى كون لا تعنيهم أسراره ، ولا تبهرهم أنواره .

على المسلمين إذا طلبوا وجه الله ، أن يصححوا موقفهم وأن يصوبوا نظرتهم إلى الدنيا .. ولا يلبسوا الحق بالباطل ، فيفهموا أن التمكين فى الأرض ، والإمساك بزمامها بعض الاشتهاء الحرام ، أو بعض الخروج عن سنن الإيمان .

إن الله تعالى يحدث المسلمين فى كتابه عن البحر الذى سخره لهم لتجرى الفلك فيه بأمره .. ووسط ألوف السفن التى تجرى وسط البحار ، ليست هناك غير سفينة للمسلمين وسط كل ألف سفينة .

ويحدثنا الله تعالى فيقول :

﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ .

ويسأل الشيخ الغزالى – كما سبق – كم صنعنا من آلات الحديد ؟ إنها النسبة الهزيلة نفسها .. نسبة الواحد إلى الألف .

وانظر إلى الزراعة ، وهى حرفة الشعوب المتأخرة ، إن هناك مساحات هائلة فى بلاد الإسلام لا تزال غفلا بكرا ، ما نقصت بركة الله فيها ولكنها تفتقر إلى الأيدى العاملة لتجود بالخير .. وأين الأيدى العاملة بين أقوام مسخوا دينهم ليعيشوا فى ظله كسالى قاصرين ؟

ثم يقول نافع :

هذه الصيحات التى يطلقها علماؤنا الأفاضل يجب أن تلفت انتباهنا إلى قصور نظرتنا إلى الدين والدنيا .. نحن اليوم فى حاجة إلى المسلم القوى .. نحن فى حاجة إلى مسلم يعرف كيف يعيش فيما بقى من الربع الأخير فى القرن العشرين ويعرف كيف يواجه القرن الحادى والعشرين .. مسلم لا يعيش عالة على الغرب فى ملابسه وطعامه وسلاحه ، وعلومه وآدابه وفنونه .

إن الإسلام منهج حياة شامل ..

وهو منهج يتفق مع كل عصر كما يقول العلماء ، وهو منهج يرفض التبعية والتخلف .. وبالتالى هو منهج يبحث عن القوة فى كل شىء ..

قوة العقيدة .. وقوة العلم .. وقوة العدالة .. وقوة الاقتصاد ، وقوة الخير ، إلى كل أنواع القوى فى الأرض .. ويربط الإسلام هذا كله باليوم الآخر والبعث والمساءلة والحساب .. أى أن الإنسان فى منهج الإسلام مسئول أمام الله عن عمارته للأرض وقيامه بأمر الخلافة فيها ، وهذه مسألة عامة إلى جوار أنه مسئول عن إيمانه وقيامه بواجباته الدينية ، وهذه مسألة خاصة .

أى أن الخاص والعام يجب أن يكونا موضع اهتمام المسلم .. وهذا هو الفهم الذى نريده للإسلام .. وهذا هو المسلم الذى تحتاج إليه الحياة اليوم .

إن المسلم المتعلم .. الواثق .. المثقف .. المنفتح .. القوى الواعى .. خير كثيرا من المسلم الذى يعيش على هامش الحياة ، ولأهمية عنصر القوة فى حياة المجتمعات الإسلامية تحدث الرسول ﷺ فقال :

« المسلم القوى خير وأحب إلى الله من المسلم الضعيف » ..

هذا ما تحتاجه الحياة اليوم ..

وهذا ما تحتاج إليه المجتمعات الإسلامية فى العالم .

العبــــادة

وهى : الأداة الثالثة ، من أدوات التقدم .

وهى : الهدف الحقيقى ، والغرض الأساسى من التقدم ، ومن النهضة ذاتها .

وهى : التصديق العملى للإيمان .

وهى : التتويج والتوجيه الهادف للعمل الصالح :

﴿ ... يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ﴾ .

وهى : الغاية المرجوة بعد نوال : الاستخلاف ، والتمكين ، والأمن ، من الله سبحانه وتعالى :

﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾(١٤١) .

والعبادة(١٤٢) : غاية الخضوع والتذلل .

ولا يستحقها إلا من له : غاية الافضال ، وهو الله تعالى ؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى :

﴿ ... ألا تعبدوا إلا إياه ﴾(١٤٣) .

ومن هنا :

فإن من مقتضى عبادة الإنسان لله تعالى وحده :

أن يخضع أموره كلها لما يحبه تعالى ويرضاه . من الاعتقادات والأقوال والأعمال .

---

(١٤١) سورةالذاريات : الآيتان ٥٦ ، ٥٧ .

(١٤٢) الراغب الأصفهانى : المفردات ، كتاب العين .

(١٤٣) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

وأن يكيف حياته وسلوكه وفقا لهدى الله وشرعه.

فإذا أمره الله تعالى أو نهاه أو أحل له أو حرم عليه كان موقفه فى ذلك كله:

﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[١٤٤] .

ففرق ما بين المؤمن وغيره : أن المؤمن خرج من العبودية لنفسه وللمخلوقين إلى العبودية لربه . خرج من طاعة هواه إلى طاعة الله . ليس المؤمن (سائبا) يفعل ما تهوى نفسه أو يهوى له غيره من الخلق . إنما هو (ملتزم) بعهد يجب أن يفى به ، وميثاق يجب أن يحترمه ، ومنهج يجب أن يتبعه . وهذا التزام منطقى ناشىء من طبيعة عقد الإيمان ومقتضاه .

مقتضى عقد الإيمان : أن يسلم زمام حياته إلى الله . ليقودها رسوله الصادق ، ويهديه الوحى المعصوم .

مقتضى عقد الإيمان : أن يقول الرب : أمرت ونهيت . ويقول العبد : سمعت وأطعت .

مقتضى عقد الإيمان : أن يخرج الإنسان من الخضوع لهواه إلى الخضوع لشرع مولاه .

وفى هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾[١٤٥] .

ويقول :

﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون ﴾[١٤٦] .

---

(٥٧) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

(١٤٥) سورة الأحزاب : الآية ٣٦ .

(١٤٦) سورة النور : الآية ٥١ .

مقتضى عقد الإيمان : أن يقصد المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله ، وابتغاء مرضاته ، وحسن مثوبته ، من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر ، وبذلك يكون جندى فكرة وعقيدة ، لا جندى عرض ومنفعة : **﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت ﴾**(١٤٧) .

فليس بعابد لله إذن من قال : أصلى وأصوم وأحج ، ولكنى حر فى أكل لحم الخنزير ، أو شرب الخمر ، أو أكل الربا ، أو رفض ما لا يروقنى من أحكام الشريعة ، فأحكم فيه بغير ما أنزل الله !

ليس بعابد لله من أدى الشعائر . ولكه لم يخضع لآداب الإسلام وتقاليده فى نفسه أو أهله ، كالرجل الذى يلبس الحرير الخالص ويتحلى بالذهب ، ويتشبه بالنساء ؛ والمرأة التى تلبس ما يبرز مفاتنها ، ولا يغطى جسدها ، ولا تضرب بخمارها على جيبها .

ليس بعابد لله من ظن أن عبوديته لله لا تعدو جدران المسجد ، فإذا انطلق فى ميادين الحياة المتشعبة ، فهو عبد نفسه فقط . وبعبارة أخرى : هو حر فى اتباع هواها . أو اتباع أهواء عبيد أنفسهم من المخلوقين(١٤٨) !

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى كذلك :

«والعبادة ليست أمرا على هامش الحياة ، أنها المبدأ الأول الذى أنزل الله كتبه ، وبعث رسله لدعوة الناس إليه ، وتذكيرهم به إذا نسوه أو ضلوا عنه . ولهذا خاطب خاتم رسله محمدا ﷺ بقوله :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾(١٤٩) .

---

(١٤٧) سورة الأنعام : الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ .

(١٤٨) د . يوسف القرضاوى .. العبادة فى الإسلام - بتصرف يسير - ص ٥٣ ، ٥٤ وما بعدهما.

(١٤٩) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

وكانت الصيحة الأولى فى كل رسالة :

﴿ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[١٥٠].

﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾[١٥١] .

ولما ختم الله كتبه بالقرآن ، وختم رسالاته بالإسلام ، وختم النبيين بمحمد عليه السلام ، أكد هذه الحقيقة . وأعلن فى كتاب الخلود : أن الغاية من خلق المكلفين أن يعرفوا الله ربهم ويعبدوه . فهذا سر خلق هذا الجنس الناطق المفكر المريد فى هذا العالم .

﴿ وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾[١٤١] .

بيد أن الناس – حتى المسلمين أنفسهم – ظلموا (العبادة) وحرفوها عن وجهها ، وعن حقيقتها . وعن مكانها . فهما وأسلوبا ، ونظرا وتطبيقا .

فوجدنا من الناس من لم يعتبروا عبادة الله غاية تطلب لذاتها . إنما هى مجرد وسيلة لتهذيب النفس ، وتربية الضمير . وهى ليست – عندهم – الوسيلة الوحيدة ، ولا الوسيلة المثلى ، ففى الاستطاعة الاستغناء عنها بغيرها من الوسائل (المدنية) التى يتخذها بعض الشعوب أو الدول – حتى الملحدة منها – لتكوين المواطن الصالح .

ووجدنا من الناس من آمنوا بقيمة العبادة ومنزلتها ، ولكنهم وجهوها لغير مستحقها . لغير الرب الأعلى . الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى . فاتخذوا مع الله – أو من دونه – آلهة أخرى . أو اتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله . حتى رأينا فى المتأخرين من المسلمين أيضا لوثة من هذا الضلال . فمنهم من يعظم غير الله . أو يقدس غير الله . أو ينذر لغير الله . أو يذبح لغير الله . أو يطيع – طاعة مطلقة – غير الله .

---

(١٥٠) سورة النحل : الآية ٣٦ .
(١٥١) سورة الأعراف : الآية ٥٩ .

ووجدنا من الناس من آمنوا بمنزلة العبادة . ووجهوها إلى مستحقها – سبحانه – ولكنهم لم يعبدوا الله بما أمر به . ولم يتقيدوا بما شرع لهم من طرائق العبادة وصورها . فشرعوا منها ما لم يأذن به الله . وسنوا ما لم يسنه رسول الله . فشددوا على أنفسهم . وشردوا عن سواء الصراط . وأحاطوا العبادات بالبدع والضلالات . التى ورثوها عمن ضل قبلهم من أتباع الديانات . غافلين عن الاصلاح العظيم الذى جاء به دينهم فى مجال العبادة . حيث قوم عوجها . وأبطل زائفها . ووضع لها الأصول والمبادىء التى تحميها من الغلو والانحراف .

ووجدنا آخرين قد فهموا معنى العبادة – التى جعلها الله غاية الخلق – فهما جزئيا قاصرا . فهى لا تعدوا أداء الشعائر المعروفة من الصلاة والصيام والزكاة والحج . وما يلحق بها من الذكر والتلاوة والدعاء .

وبهذا الفهم المبتور لا يبالون ما قصروا بعد ذلك من أوامر الإسلام ونواهيه . وأحكامه ووصاياه . التى تستوعب كل مجالات الحياة . مع أن العبادة – كما جاء بها القرآن والسنة . وكما فهمها خير قرون هذه الأمة – تشمل الدين كله . وتشمل الحياة كلها)[١٥٢] .

ثم أخذ الدكتور القرضاوى – أعزه الله – فى بيان أن العبادة تشمل :

(أ) الدين كله .

(ب) والحياة كلها .

(ج) والكيان الإنسانى كله .

فقال :

(أ) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قول الله عز وجل :

﴿ يا أيها الناس أعبدوا ربكم ﴾[١٥٣] .

---

(١٥٢) العبادة فى الإسلام ص ٨ ، ٩ .

(١٥٣) سورة البقرة : الآية ٢١ ، وانظر : المرجع السابق ص ٥٠ ، ٥١ . وما بعدهما .

ما العبادة ؟ وما فروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟

فأجاب رحمه الله عن ذلك إجابة مبسوطة مفصلة تضمنتها رسالته المعروفة باسم (العبودية) وقد بدأها بقوله :

(العبادة : هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل . والمملوك من الآدميين ، والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة) .

(وكذلك حب الله ورسوله . وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له . والصبر لحكمه . والشكر لنعمه . والرضا بقضائه ، والتوكل عليه . والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه . وأمثال ذلك هى من العبادة لله) ا . هـ .

وهكذا نجد أن للعبادة – كما شرحها ابن تيمية – أفقا رحبا ودائرة واسعة ، فهى تشمل الفرائض والأركان الشعائرية من الصلاة والصيام والزكاة والحج .

وهى تشمل ما زاد على الفرائض من ألوان التعبد التطوعى من ذكر وتلاوة ودعاء واستغفار . وتسبيح وتهليل وتكبير وتحميد .

وهى تشمل حسن المعاملة والوفاء بحقوق العباد . كبر الوالدين ، وصلة الأرحام . والإحسان لليتيم والمسكينم وابن السبيل . والرحمة بالضعفاء ، والرفق بالحيوان .

وهى تشمل الأخلاق والفضائل الإنسانية كلها ، من صدق الحديث ، وأداء الأمانة . والوفاء بالعهد . وغير ذلك من مكارم الأخلاق .

كما تشمل ما نسميه بـ (الأخلاق الربانية) من حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والإنابة إليه وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه . والرضا بقضائه . والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه .

وأخيرا تشمل العبادة الفريضتين الكبيرتين اللتين هما سياج ذلك كله وملاكه وهما :

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وجهاد الكفار والمنافقين فى سبيل الله .

بل تشمل العبادة أمرا له أهميته وخطره فى الحياة المادية للناس . ذكره ابن تيمية فى موضع آخر من رسالته ، وهو الأخذ بالأسباب ، ومراعاة السنن التى أقام الله عليها الكون قال : «فكل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عباده » .

وأكثر من ذلك ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله : «أن الدين كله داخل فى العبادة . إذ الدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال : دنته فدان . أى أذللته فذل . ويقال : يدين الله ويدين لله . أى يعبد الله ويطيعه ويخضع له . فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له . والعبادة أصلا معناها الذل أيضا » .

وبهذا يلتقى معنى الدين بأصل معنى العبادة لغة وشرعا .

(ب) ثم يقول الدكتور القرضاوى:

«وإذا عرفنا أن الدين كله عبادة كما قال الإمام ابن تيمية ، وعرفنا أن الدين قد جاء يرسم للإنسان منهج حياته ، الظاهرة والباطنة ، ويحدد سلوكه وعلاقاته ، وفقا لما يهدى إليه هذا المنهج الإلهى – عرفنا أن عبادة الله تسع الحياة كلها ، وتنتظم أمورها قاطبة : من أدب الأكل والشرب . وقضاء الحاجة ، إلى بناء الدولة ، وسياسة الحكم ، وسياسة المال . وشئون المعاملات والعقوبات ، وأصول العلاقات الدولية فى السلم والحرب » .

ولهذا نجد كتاب الله الكريم يخاطب عباده المؤمنين بأوامر تكليفية وأحكام شرعية ، تتناول جوانب شتى من الحياة ، وفى سورة واحدة هى سورة البقرة،

نجد مجموعة من التكاليف كلها جاءت بصيغة واحدة « كتب عليكم » . ولنقرأ هذه الآيات الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ﴾[١٥٤] .

﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ﴾[١٥٥] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[١٥٦] .

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾[١٥٧] .

فهذه الأمور كلها من القصاص ، والوصية ، والصيام ، والقتال ، مكتوبة من الله على عباده ، أى مفروضة عليهم ، فعليهم أن يعبدو الله بالتزامها والانقياد لها .

وبهذا البيان يتضح لنا حقيقة هامة لا زال يجهلها الكثيرون من المسلمين . فبعض الناس لا يفهم من كلمة (العبادة) إذا ذكرت إلا الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة ، ونحو ذلك من الأدعية والأذكار ، ولا يحسب أن لها علاقة بالأخلاق والآداب ، أو النظم والقوانين ، أو العادات والتقاليد .

إن عبادة الله ليست محصورة – إذن – فى الصلاة والصيام والحج وما يلحق بها من التلاوة والذكر والدعاء والاستغفار ، كما يتبادر إلى فهم كثير من المسلمين إذا دعوا إلى عبادة الله ، وكما يحسب كثير من المتدينين أنهم إذا قاموا بهذه الشعائر فقد وفوا الإلهية حقها ، وقاموا بواجب العبودية لله كاملا .

---

(١٥٤) سورة البقرة : الآية ١٧٨ .

(١٥٥) سورة البقرة : الآية ١٨٠ .

(١٥٦) سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

(١٥٧) سورة البقرة : الآية ٢١٦ .

إن هذه الشعائر العظيمة والأركان الأساسية فى بناء الإسلام – على منزلتها وأهميتها – إنما هى جزء من العبادة لله ، وليست هى كل العبادة التى يريدها الله من عباده .

والحق : أن دائرة العبادة التى خلق الله لها الإنسان ، وجعلها غايته من الحياة ، ومهمته فى الأرض : دائرة رحبة واسعة .

إنها – كذلك – تشمل شئون الإنسان كلها ، وتستوعب حياته جميعا .

بحيث شملت أعمالا كثيرة لم يكن يخطر ببال الناس أن يجعلها الدين عبادة وقربة إلى الله .

إن كل عمل اجتماعى نافع يعده الإسلام عبادة من أفضل العبادات ما دام قصد فاعله الخير لا تصيد الثناء ، واكتساب السمعة الزائفة عند الناس . كل عمل يمسح به الإنسان دمعة محزون . أو يخفف به كربة مكروب ، أو يضمد به جراح منكوب ، أو يسد به رمق محروم ، أو يشد به أزر مظلوم ، أو يأخذ بيد فقير متعفف ذى عيال ، أو يهدى حائرا . ويعلم جاهلا ، أو يؤوى غريبا ، أو يدفع شرا عن مخلوق ، أو أذى عن طريق ، أو يسوق نفعا إلى ذى كبد رطبة ؛ فهو عبادة وقربة إلى الله إذا صحت فيه النية .

أعمال كثيرة من هذا النوع جعلها الإسلام من عبادة الرحمن ، وشعب الإيمان ، وموجبات المثوبة عند الله .

فليست الصلاة أو الصيام أو الذكر والدعاء هى التى تكتب لك عبادة فى يومك وتستوجب بها الأجر عند ربك . كلا إنك تستطيع فى اليوم الواحد أن تضيف إلى ميزان عبادتك وحسناتك أشياء كثيرة ، لها ثقلها وقيمتها فى تقدير الحق تبارك وتعالى ، وإن بدت عندك هينة خفيفة فى الميزان .

من ذلك ما قاله رسول الإسلام عن الاصلاح بين المتخاصمين قال :

« ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى .

قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة»[١٥٨] . وفى رواية : « لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين »[١٥٩] .

ويقول عليه الصلاة والسلام فى عيادة المريض وما لها من مكانة عند الله لما فيها من تخفيف ومواساة :

« من عاد مريضا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا »[١٦٠] .

« من عاد مريضا لم يزل يخوض فى الرحمة حتى يجلس ، فإذا جلس اغتمس فيها »[١٦١] .

ويروى لنا النبى ﷺ مشهدا من المشاهد البديعة العميقة يوم القيامة فى صورة حوار بين الله وعباده :

« إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا بن آدم مرضت فلم تعدنى !! قال : يارب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ؟ يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ! قال : يارب ، كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه . أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟! يا بن آدم استسقيتك فلم تسقنى ! قال : يارب ، كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟! قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى »[١٦٢] .

---

(١٥٨) أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه .

(١٥٩) هذه الزيادة للترمذى .

(١٦٠) الترمذى وحسنه وابن ماجه واللفظ له ، ورواه الطبرانى بنحوه من حديث أبى هريرة ورواته ثقات كما فى الترغيب .

(١٦١) أحمد ورواته رواة الصحيح والبزار وابن حبان فى صحيحه من حديث جابر ، وابن جابر فى صحيحه .

(١٦٢) رواه مسلم . كتاب البر . باب : فضل عيادة المريض .

ويروى عن النبى ﷺ أنه قال :

« بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له ، فغفر له »[١٦٣] . وفى رواية مسلم : « مر رجل بغصن شجرة على ظهر الطريق فقال : والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم . فأدخل الجنة »[١٦٣] .

والإسلام لا يستحب هذه الأعمال ويحمدها فحسب ، بل هو يدعو إليها ، ويحث عليها ، ويأمر بها ، ويجعلها من الواجبات اليومية على المسلم ، التى تقربه إلى الجنة ، وتبعده عن النار ، وهو تارة يسميها (صدقة) وطورا يسميها (صلاة) وهى على كل حال عبادة وقربة إلى الله الكريم .

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : ماذا ينجى العبد من النار ؟

قال : « الإيمان بالله .

قلت : يا نبى الله ؛ مع الإيمان عمل ؟

قال : أن ترضخ مما خولك الله (أى تعطى مما ملكك الله) .

قلت : يا نبى الله ، فإن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ ؟

قال : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

قلت : فإن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟

قال : فليعن الأخرق (هو الجاهل الذى لا يعرف صنعة . يعينه على تعلم صنعة) .

---

(١٦٣) مسلم . كتاب البر . باب : فضل إزالة الأذى عن الطريق .

قلت : يا رسول الله ؛ أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع ؟

قال : فليعن مظلوما .

قلت : يا نبى الله ؛ أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما ؟!

قال : ما تريد أن تترك لصاحبك من خير ؟ ليمسك أذاه عن الناس .

قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة ؟

قال : ما من مؤمن يطلب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة »(١٦٤) .

بمثل هذه الروح يستحث نبى الإسلام كل مسلم – وإن يكن محدود الاستطاعة – أن يؤدى هذه العبادة أو (الضريبة) الاجتماعية . ولم يجعل الإسلام هذه العبادة موقوتة بزمان أو مرهونة بمكان ، كما لم يجعل هذه العبادة أو الضريبة مالية فينفرد بها الأغنياء ، ولا بدنية فيختص بها الأقوياء ، ولا ثقافية فيتميز بها المتعلمون . ولكنه جعلها ضريبة إنسانية عامة ، يؤديها كل إنسان على قدر طاقته ، يشترك فيها الفقير والغنى ، والضعيف والقوى ، والأمين والمتعلم .

ثم يقول :

وإننا لنقرأ أحاديث النبى الكريم فى هذا الباب ، فنرى أنه لم يكتف بفرض هذه العبادة العامة على الإنسان من حيث هو إنسان فحسب ، بل يشتد فى طلبها ، فيفرضها على كل ميسم من مياسمه ، أو كل مفصل من مفاصله . فيروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ :

« كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس : يعدل بين الاثنين صدقة . ويعين الرجل فى دابته ، فيحمله أو يرفع عليها متاعه صدقة . والكلمة الطيبة صدقة . وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة »(١٦٥).

---

(٧٧) رواه البيهقى واللفظ له .

(٧٨) رواه البخارى ومسلم .

ويروى ابن عباس نحو هذا عن الرسول ﷺ إذ يقول :

« على كل ميسم من الإنسان صلاة كل يوم ! فقال رجل من القوم : هذا من أشد ما أنبأتنا به ! قال : أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة ، وحملك عن الضعيف صلاة ، وانحاؤك القذر من الطريق صلاة ، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صلاة »(١٦٦) .

ونحو ذلك ما رواه بريدة عنه ﷺ قال :

« فى الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل ، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة . قالوا : فمن يطيق ذلك يا رسول الله ؟- ظنوها صدقة مالية – قال : النخامة فى المسجد تدفنها ، والشىء تنحيه عن الطريق .. »(١٦٧) .

وقد وردت أحاديث عديدة تجعل تبسم المرء فى وجه أخيه صدقة وأسماع الأصم ، وهداية الأعمى ، وإرشاد الحيران ، ودلالة المستدل على حاجته ، والسعى بشدة الساقين مع اللهفان المستغيث ، والحمل بشدة الذراعين مع الضعيف ، وما يدور فى هذا الفلك من الأعمال ، عده رسول الإسلام عبادة كريمة ، وصدقة طيبة .

وبهذا يعيش المسلم فى مجتمعه ينبوعا يفيض بالخير والرحمة ، ويتدفق بالنفع والبركة ، يفعل الخير ويدعو إليه ، ويبذل المعروف ويدل عليه ، فهو مفتاح للخير ، مغلاق للشر ، كما حثه النبى الكريم(١٦٨) .

وأفق الخير والنفع الذى يعيش المسلم فى دائرته ليس خاصا بالإنسان وحده ، وإنما يتسع فيشمل كل كائن حى فى الوجود حتى الطير والحيوان فكل إحسان يسديه إليه أو أذى يدفعه عنه عبادة تقربه إلى الله ، وتوجب له رضاه .

---

(١٦٦) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

(١٦٧) رواه أحمد واللفظ له وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما .

(١٦٨) كما فى حديث ابن ماجه : « طوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر » .

وقد حدث النبى أصحابه عن رجل وجد كلبا يلهث يأكل الثرى من شدة العطش ، فنبضت عروق الرحمة فى قلبه ، وعز عليه أن يدع هذا الكلب فى حرقته وشدة ظمئه ، فذهب به إلى بئر فنزع خفه وملأه منها . فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له .. سمع الصحابة هذه القصة فقالوا فى عجب : أئن لنا فى البهائم لأجرا يا رسول الله ؟

قال : « فى كل كبد رطبة (أى فيها حياة) أجرا »(١٦٩) .

وفى هذه الدائرة الرحبة من أعمال البر التى شملت الإنسان وغير الإنسان يجد المهتمون بالعبادة ، الراغبون فى الاكثار منها ، والمهتمون بخدمة المجتمع والإحسان إلى الخلق أيضا ما يشبع نهمهم ويتجاوب مع أشواقهم ، بدل أن يحصروا فى عبادات (الصوامع) وحدها وينقطعوا عن ركب الحياة .

عمل الإنسان فى معاشه عبادة بشروط :

وأعجب من هذا أن النبى ﷺ يجعل الأعمال الدنيوية التى يقوم بها الإنسان لمعيشته ، والسعى على نفسه وأهله ، من أبواب العبادة والقربات إلى الله ، وإن لم يتعد نفعها دائرته الشخصية والأسرية . فالزارع فى حقله ، والعامل فى مصنعه ، والتاجر فى متجره ، والموظف فى مكتبه ، وكل ذى حرفة فى حرفته ، يستطيع أن يجعل من عمله المعاشى صلاة وجهادا فى سبيل الله ، إذا التزم فيه الشروط الآتية :

١ - أن يكون العمل مشروعا فى نظر الإسلام . أما الأعمال التى ينكرها الدين كالعمل فى الربا والحانات ، والمراقص ونحوها ، فلا تكون ولن تكون عبادة أبدا . إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا .

٢ - أن تصحبه النية الصالحة : نية المسلم أعفاف نفسه ، واغناء أسرته ، ونفع أمته ، وعمارة الأرض ، كما أمر الله .

٣ - أن يؤدى العمل باتقان وإحسان ففى الحديث :

---

(١٦٩) رواه البخارى .

« إن الله كتب الإحسان على كل شيء »[170] .

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »[171] .

٤ – أن يلتزم فيه حدود الله فلا يظلم ولا يخون ، ولا يغش ولا يجور على حق غيره .

٥ – ألا يشغله عمله الدنيوى عن واجباته الدينية كما قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾[172] .

﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾[173] .

إذا راعى المسلم هذه الأمور كان فى سعيه عابدا وإن لم يكن فى محراب متبتلا إلى الله .

عن كعب بن عجرة قال :

« مر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا فى سبيل الله ؟! (أى فى الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وكان أفضل العبادات عندهم) فقال : إن كان خرّج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله . وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله . وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان »[174] .

---

(١٧٠) رواه مسلم .

(٨٤) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن عائشة وفيه راو تكلم فيه . وكذا رواه أبو يعلى وابن عساكر وغيرهما ، كما فى (الفيض) .

(١٧٢) سورة المنافقون : الآية ٩ .

(١٧٣) سورة النور : الآية ٣٧ .

(١٧٤) قال المنذرى : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

ويخلع القرآن على السعى فى مناكب الأرض ، لطلب الرزق تسمية جميلة موحية برضا الله ، فيسمى ذلك « الابتغاء من فضل الله » مثل قوله تعالى :

﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾[١٧٥]

﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾[١٧٦] .

ويقرن المسافرين للرزق بالمجاهدين لله فى سياق واحد إذ يقول :

﴿ وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ﴾[١٧٧] .

والنبى ﷺ يقول فى فضل الزرع والغرس وما يجلب لصاحبه من مثوبة عند الله :

« ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »[١٧٨] .

ويعلن أن :

« التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء »[١٧٩] .

وفى ظل هذه التعاليم لا يجوز للمسلم – ولا يتصور منه – أن يكون عالة على غيره ، أو عبئا على المجتمع : يأخذ من الحياة ولا يعطيها ، ويعتزل الناس والحياة باسم التفرغ للعبادة أو التبتل . بل يندفع بغير وازع خارجى إلى كل ميادين الحياة منتجا متقنا متفوقا ، وهو يوقن أنه فى صلاة وجهاد !

---

(١٧٥) سورة الجمعة : الآية ١٠ .

(١٧٦) سورة البقرة : الآية ١٩٨ .

(١٧٧) سورة المزمل : الآية ٢٠ .

(١٧٨) متفق عليه .

(١٧٩) رواه الترمذى وحسنه .

حتى أعمال الغريزة وقضاء الشهوة .

على أن الأروع مما تقدم كله : أن تشمل العبادة الحاجات الضرورية التى يؤديها المسلم استجابة لدافع الغريزة البشرية . فالأكل والشرب ومباشرة الزوج لزوجته ، وما كان من هذا القبيل يدخله الإسلام فى دائرة العبادة الفسيحة بشرط واحد هو (النية) . فالنية هى المادة السحرية العجيبة التى تضاف إلى المباحات والعادات فتصنع منها طاعات وقربات .

وأوضح شاهد على ذلك ما قاله النبى ﷺ لأصحابه :

«وفى بضع[١٨٠] أحدكم صدقة. قالوا: أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجرا !! »[١٨١] .

قال العلماء : وهذا من تمام رحمة الله على عباده ، يثيبهم على ما فيه قضاء شهواتهم إذا نووا أداء حق الزوجة وإحصان الفرج ولله الحمد .

صحح وجهتك تكن كل حياتك عبادة :

بحسب المسلم أن ينظر إلى نفسه على أنه خليفة لله فى الأرض ، مهمته أن ينفذ أمره ، ويقيم حدوده ويعلى كلمته ، ويقوم بواجب العبودية له تعالى ، بحسبه ذلك لتصطبغ أعماله كلها بصيغة ربانية . وليكون ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وحركات وسكنات عبادة لله رب العالمين .

وهذا هو الموافق لما تعطيه الآية الكريمة من معنى كبير :

﴿ وما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون ﴾[١٤١] .

فأين هى العبادة التى جعلها الله غاية لخلقهم إذا حصرنا معنى العبادة فى تلك الشعائر التى لا تستغرق إلا دقائق معدودات من يوم الإنسان وليلته . أما جل الوقت ففى معترك الحياة .

(١٨٠) البضع : قال فى القاموس : الجماع أو الفرج نفسه .

(١٨١) رواه مسلم والترمذى .

(جـ) ثم يقول الدكتور القرضاوى[١٨٢] :

وكما شملت العبادة فى الإسلام الحياة كلها ، استوعبت كذلك كيان الإنسان كله .

فالمسلم يعبد الله بالفكر ، ويعبد الله بالقلب ، ويعبد الله باللسان ، ويعبد الله بالسمع والبصر وسائر الحواس ، ويعبد الله ببدنه كله ، ويعبد الله ببذل المال ، ويعبده بمفارقة الأهل والوطن .

المسلم يتعبد لله بالفكر ، عن طريق التأمل فى النفس والآفاق ، والتفكر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، والتدبر لآيات الله المنزلة وما فيها من هدى وحكمة ، والنظر فى مصائر الأمم وأحداث التاريخ وما فيها من عظة وعبرة ، فهذا كله مما يتقرب به المسلم إلى الله الذى أنزل كتابه إلى الناس :

﴿ ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾[١٨٣] .

ودعاهم فى محكم كتابه إلى إعمال العقل نظرا وتفكرا وتعلما :

﴿ وفى الأرض آيات للموقنين * وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[١٨٤] .

﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾[١٨٥] .

وقد ورد عن ابن عباس : « تفكر ساعة خير من قيام ليلة »[١٨٦] .

وقال الرسول ﷺ :

---

(١٨٢) نفس المرجع ص ٧٢ - ٧٥ .

(١٨٣) سورة ص : الآية ٢٩ .

(١٨٤) سورة الذاريات : الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

(١٨٥) سورة آل عمران : الآيتان ١٩٠ ، ١٩١ .

(١٨٦) رواه أبو الشيخ موقوفا . وروى مرفوعا بإسناد ضعيف من حديث أبى هريرة : « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » رواه ابن حبان فى كتاب العظة ، ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات .

« من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة »(١٨٧) .

وقال الشافعى رضى الله عنه : (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة) ونص على ذلك أبو حنيفة رضى الله عنه .

وقال وهب : كنت بين يدى مالك رضى الله عنه فوضعت ألواحى . وقمت أصلى . فقال : ما الذى قمت إليه بأفضل من الذى قمت عنه .

ويتعبد المسلم لله بالقلب عن طريق العواطف الربانية والمشاعر الروحية ، مثل : حب الله وخشيته ، والرجاء فى رحمته والخوف من عقابه . والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه ، والشكر لنعمائه ، والحياء منه ، والتوكل عليه ، والإخلاص له ، قال تعالى :

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾(١٨٨) .

﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت ﴾(١٨٩) .

ويتعبد المسلم لله باللسان عن طريق الذكر والتلاوة والدعاء والتسبح والتهليل والتكبير .

جاء فى القرآن الكريم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾(١٩٠) .

﴿ واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴾(١٩١) .

---

(١٨٧) رواه أحمد عن أبى هريرة .

(١٨٨) سورة البينة : الآية ٥ .

(١٨٩) سورة الأنعام : الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ .

(١٩٠) سورة الأحزاب : الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(١٩١) سورة الأعراف : الآية ٢٠٥ .

« اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه »[١٩٢] .

وقال رجل للنبى ﷺ :

إن شرائع الإسلام قد كثرت على فمر لى بأمر اتشبث به . فقال : « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله »[١٩٣] .

والذكر نوعان : ذكر ثناء مثل « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

وذكر دعاء مثل :

﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾[١٩٤] .

وقد جاء من النوعين عن النبى ﷺ أدعية وأذكار كثيرة ، فى مختلف المناسبات والأوقات ، تجعل المسلم موصول القلب بربه ، ورطب اللسان بذكره تعالى : عند النوم واليقظة ، وعند الاصباح والامساء ، وعند الأكل والشرب ، وعند السفر والأوبة ، عند لبس الثوب ، وركوب الدابة ، وهبة الريح ونزول المطر .. وفى كل حال وكل حين . وقد ألف العلماء فى ذلك كتبا شتى[١٩٥] .

والذكر المحمود هو ما اجتمع فيه القلب واللسان ، ولا خير فى ذكر اللسان إذا كان القلب ناسيا غافلا .

ويتعبد المسلم لله ببدنه كله : إما كفا وامتناعا عن ملذات البدن وشهواته ، كما فى الصيام . وإما حركة وعملا ونشاطا ، كما فى الصلاة التى يتحرك فيها البدن كله : اللسان والأعضاء ، مع العقل والقلب .

---

(١٩٢) رواه أحمد ومسلم عن أبى أمامة .

(١٩٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(١٩٤) سورة الأعراف : الآية ٢٣ ، وقد ورد على لسان آدم وزوجه بعد أن أكلا من الشجرة .

(١٩٥) من أفضلهما كتاب (الأذكار) للإمام النووى ، و(الكلم الطيب) لشيخ الإسلام ابن تيمية و(الوابل الصيب) للإمام ابن القيم .

ويتعبد المسلم لله ببذل المال الذى هو شقيق الروح ، كما فى الزكاة والصدقات ، وهذا ما يسميه الفقهاء (العبادة المالية) كما سموا الصلاة والصوم (العبادة البدنية) ويعنون بكلمة (البدن) هنا كيان الإنسان كله لا الجسم المادى وحده ؛ فإن النية شرط لكل عبادة ، ومحلها القلب بالإجماع وعبادة المجنون والسكران ونحوها لا تصح ولا تقبل .

﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾[١٩٦] .

ويتعبد المسلم لله ببذل مهجته ، والتضحية بنفسه وبمصالحه المادية العاجلة ؛ ابتغاء مرضاة الله ، كما فى الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين ؛ لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

ويتعبد المسلم لله بمفارقة الأهل والوطن والضرب فى الأرض : إما للحج والعمرة ، وإما للهجرة إلى أرض يستطيع فيها المسلم إقامة دينه ، وإما للجهاد فى سبيل الله ، وإما لطلب علم نافع ، أو نحو ذلك ، مما يبذل فيه المسلم - عادة - راحة بدنه وحر ماله . ولهذا نعتبر هذا النوع من العبادات (بدنيا وماليا) معا حسب التقسيم الفقهى المتعارف[١٨٢] .

وبعد ...

فهذه هى الأداة الثالثة من أدوات التقدم والنهضة، وعوامل الخروج من هذه الوهدة التى يعانيها - ويعانى منها - المسلمون .

لو كانوا يشعرون بمعاناة !!

﴿ يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ﴾ .

وقد اتضح لنا المراد من العبادة غاية الوضوح ، وأصبح الطريق معبدا أمام:

من يريد عبادة الله تعالى على بصيرة من نور .

---

(١٠٩) سورة النساء : الآية ٤٣ .

من يريد اكتساب الأداة الثالثة ، بعد الأداتين الأولى وهى : الإيمان ، والثانية : وهى العمل الصالح - بل معهما - من أدوات التقدم والنهضة .

من يريد الخروج من هذا المأزق الذى نعانى من السقوط فيه نحن المسلمين .

لكن ..!!

ما المراد بهذه العبارة ؟

﴿ **لا يشركون بى شيئا** ﴾ .

وللإجابة على هذا السؤال نبين :

أولا : معنى الشرك .

وثانيا : المراد من هذه العبارة .

فالشرك :

هو : أن يجعل المرء لله تعالى شريكا فى : ملكه ، أو فى ربوبيته[١٩٧] .. تعالى على الله عن ذلك علوا كبيرا .

وهذا : هو الشرك العظيم[١٩٨] .

قال تعالى :

﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾[١٩٩] .

وقال تعالى :

﴿ **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** ﴾[٢٠٠] .

---

(١٩٧) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (شرك) .

(١٩٨) الراغب الأصفهانى : المفردات ، كتاب (الشين) .

(١٩٩) سورة النساء : الآية ٤٨ .

(٢٠٠) سورة النساء : الآية ١١٦ .

وقال تعالى :

﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة** ﴾[٢٠١] .

وهناك : الشرك الصغير .

وهو : مراعاة غير الله معه فى بعض الأمور .

مثل : الرياء ، والنفاق .

وهو المشار إليه بقوله تعالى :

﴿ **... جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون** ﴾[٢٠٢] .

وبقوله تعالى :

﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾[٢٠٣] .

وعلى هذا ..

فإن المفسرين لكتاب الله تعالى يرون :

أن المراد بهذه العبارة « لا يشركون بى شيئا » : هو المراد من قوله تعالى : « يعبدوننى » .

وهذا المراد هو : عبادة الله تعالى والإخلاص له .

إذ جملة « لا يشركون بى شيئا » بدل من « يعبدوننى » أو بيان لها[٢٠٤] .

وفيه عند الإمام القرطبى ، أربعة أقوال[٢٠٥] .

أحدها : لا يعبدون إلها غيرى .

(٢٠١) سورة المائدة : الآية ٧٢ .
(٢٠٢) سورة الأعراف : الآية ١٩٠ .
(٢٠٣) سورة يوسف : الآية ١٠٦ .
(٢٠٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢٥/١٨ .
(٢٠٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٠/١٢ .

الثانى : لا يراءون بعبادتى أحدا .

الثالث : لا يخافون غيرى .

الرابع : لا يحبون غيرى .

حقا ..!!

إن المطلوب :

هو : منتهى الطاعة ، منتهى الخضوع ، منتهى الاذعان ، منتهى التسليم ، منتهى الانقياد ، لله تعالى ، مالك الملك ، رب العالمين .

هو : منتهى الطاعة ، منتهى الخضوع ، منتهى الاذعان ، منتهى التسليم ، منتهى الانقياد ، لأحكام الله تعالى ، التى أحل بها الحلال ، وحرم بها الحرام ، وفرض الفرائض ، وحد الحدود .

ولذلك !!

وكما يقول الدكتور يوسف القرضاوى بحق[١٤٨] :

فمن أدى الشعائر وصلى وصام وحج واعتمر ، ولكنه رضى أن يحتكم فى شئون حياته الخاصة والعامة ، أو فى شئون المجتمع والدولة ، إلى غير شرع الله وحكمه ، فقد عبد غير الله ، وأعطى غيره ما هو من خالص حقه سبحانه .

إن الله وحده هو المشرع الحاكم لخلقه ؛ لأن الكون كله مملكته ، والناس جميعا عباده ، وهو وحده الذى له أن يأمر وأن ينهى ، وأن يقول : هذا حلال ، وهذا حرام ، بمقتضى ربوبيته وملكه وألوهيته للناس ؛ فهو رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس .

فمن أدعى من الخلق أن له أن يشرع ما شاء ، أمرا ونهيا وتحليلا وتحريما ، بدون إذن من الله فقد تجاوز حده ، وعدا طوره ، وجعل نفسه ربا أو إلها من حيث يدرى أو لا يدرى !

ومن أقر له بهذا الحق ، وانقاد لتشريعه ونظامه ، وخضع لمذهبه وقانونه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، فقد اتخذه ربا ، وعبده مع الله ، أو من دون الله ، ودخل فى زمرة المشركين من حيث يشعر أو لا يشعر !

إن القرآن الكريم دمغ أهل الكتاب بالشرك ، ورماهم بأنهم عبدوا أحبارهم ورهبانهم ، واتخذوهم أربابا من دون الله ، وذلك حين أطاعوهم واتبعوهم فيما شرعوا لهم مما لم يأذن به الله .

قال تعالى :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾[٢٠٦] .

وقد فسر هذه الآية أعلم الناس بمراد ربه – عز وجل – من كلامه – وهو الرسول الذى لا ينطق عن الهوى والذى أوحى الله إليه هذا القرآن ليبينه للناس ولعلهم يتفكرون .

فلنصغ إلى التفسير النبوى الكريم لهذه الآية الكريمة .

روى الإمام أحمد والترمذى وابن جرير – من طرق – عن عدى بن حاتم رضى الله عنه :

أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ ، فر إلى الشام وكان قد تنصر فى الجاهلية ، فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم منَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها ، فرجعت إلى أخيها ، فرغبته فى الإسلام ، وفى القدوم على رسول الله ﷺ ، فقدم عدى إلى المدينة – وكان رئيسا فى قومه وأبوه حاتم الطائى المشهور بالكرم – فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول الله ﷺ ، وفى عنق عدى صليب من فضة ، وهو – ﷺ – يقرأ هذه الآية :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ .

---

(٢٠٦) سورة التوبة : الآية ٣١ .

قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم ! فقال : « بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم » .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره[٢٠٧]: وهكذا قال حذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عباس ، وغيرهما فى تفسير :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ .

أنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا .

وقال السدى : استنصحوا الرجال ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم .

قال : ولهذا قال تعالى :

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ﴾ .

أى : الذى إذا حرم الشيء فهو الحرام ، وما حلله فهو الحلال ، وما شرعه اتبع ، وما حكم به نفذ .

﴿ لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ ا . هـ .

---

(٢٠٧) تفسير ابن كثير ٣٤٩/٢ .

الفصل الثاني

إزالة معوقات النهضة

* خطر العصاة المنهزمين ..
* خطر الغرور ..
* حرب الأعداء النفسية ..

خطــر العصــاة المنهزمــين

وهؤلاء العصاة المنهزمون نفسيا ، والموجودون بطبيعة الأشياء فى كثير من الأماكن ، والمندسون بين الصفوف : هم مصدر خطر ، ومنبع شقاء ، ودبيب عجز وهزيمة ، وشر مستطير ، ومرض عضال معد ، بين أفراد الجماعة الإسلامية ، الذين آمنوا - وزادهم إيمانهم ثقة واعتزازا - بربهم وبدينهم وبكتابهم وبأنفسهم ، وبصلاحيتهم لقيادة العالم كله ، والذين أخلصوا لله تعالى فى قيامهم بأداء الأعمال الصالحة ، التى من شأنها أن تحقق منهم : عمارة الدنيا ، وامتلاك الكون ، والذين أفردوا الله وحده سبحانه بالعبادة ، فلا رياء ، ولا نفاق ، ولا خوف من غيره ، ولا خشية إلا منه ، ولا مرضاة إلا له سبحانه وتعالى ، عبادة هى : لصالحهم ، ولصالح الأمة الإسلامية ، ولصالح الإنسانية جمعاء ، عبادة الأقوياء المؤثرين ، لا عبادة الضعفاء العاجزين ، عبادة العلماء النابهين ، لا عبادة المقلدين الخاملين .

ولأن وجود هؤلاء العصاة المنهزمين نفسيا ؛ له من الخطر هذا الحجم !!!

فقد تصدى القرآن الكريم لعلاج هذا المرض ، واجتثاثه من بين الصفوف ، بل من بين النفوس ، حتى لا يترك : فى الصفوف خللا ، أو فى النفوس وهنا .

﴿ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

والكفر هنا : بمعناه اللغوى ، لا بمعناه الشرعى .

أى بمعنى : ستر الشىء .

وعنى بالكافر : الساتر للحق .

فلذلك : جعله فاسقا ، ومعلوم أن الكفر المطلق ، أعم من الفسق .

ولما جعل كل فعل محمود من الإيمان : جعل كل فعل مذموم من الكفر (الذى هو الفسق) .

وعلى هذا ، فالمعنى :

من جحد حق الله : فقد فسق عن أمر ربه بظلمه(٢٠٨) .

أى : من جحد وعد الله : فقد فسق عن أمر ربه .

من جحد أدوات التقدم التى ذكرت فى الآية الكريمة : فقد فسق عن أمر ربه .

وكذلك من جحد أجزاء من هذه الأدوات :

كمن فقد الثقة بأنه على خير دين ، وأفضل طريق ، وأقوم منهاج ، وأصلحه ؛ للبشرية ، ولقيادة العالم .

أو من انغلق فى فهمه للأعمال الصالحة ، فاعتزل الحياة ، وخاصم النجاح ، ونبذ امتلاك ناصية الدنيا ، وانحرف فكره عن جادة الطريق ففهم الأعمال الصالحة على غير ما أرادها الله تعالى لصالح العباد .

وهذا هو ما اهتم النبى ﷺ بتصحيحه سريعا حينما عرف ذلك عن بعض أصحابه ففيما يروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أنه :

« جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ ، يسألون عن عبادة النبى ﷺ .

فلما أخبروا : كأنهم تقالوها ، وقالوا :

وأين نحن من النبى ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا .

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

---

(٢٠٨) الأصفهانى : المفردات ، كتاب الكاف .

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ..؟

أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكننى :

أصوم وأفطر .

وأصلى وأرقد .

وأتزوج النساء .

فمن رغب عن سنتى فليس منى »(٢٠٩) .

وذلك :

لأن هذا انغلاق فى فهم الأعمال الصالحة ، يضر : الفرد ، والمجتمع ، والأمة .

ومن هنا : نبه ﷺ سريعا وبشدة أصحابه على خطورته ونبذه .

وكذلك : من انحرف بالعبادة عن مفهومها السليم الواسع ، الذى يشمل الحياة كلها ، وجوانب النشاط الإنسانى كله كما قدمنا .

وقد فسق عن أمر ربه كذلك :

من تقاعس عن هذه الأدوات ، وهى الإيمان ، والعمل الصالح ، والعبادة ، وتراخى فى حسن القيام بها .

ومن تقاعس - كذلك - عن واحدة منها .

وقد فسق عن أمر ربه كذلك :

من أنكر - أو شك - فى جدوى هذه الأدوات ، أو فى واحدة منها ، على أنها الطريق إلى تحقيق وعد الله سبحانه وتعالى لعباده ، الذين ينجحون فى القيام بهذه الأدوات .

---

(٢٠٩) رواه البخارى : كتاب النكاح ، باب : الترغيب فى النكاح .

ثم ...

فسق عن أمر ربه كذلك :

من جحد : نتائج التقدم ، وثمار النهضة ، التى وعد الله سبحانه وتعالى بها ، من حقق ما طلب الله منه من الأدوات السابقة .

فقد فسق :

من لم يصدق وعد الله باستخلاف المؤمنين فى الأرض .

من لم يصدق وعد الله بتمكين الدين الإسلامى .

من لم يصدق وعد الله بتبديل المؤمنين من بعد خوفهم أمنا .

وقد فسق :

من يزرع الشك فى نفوس المؤمنين بهذه النتائج ؛ إذ نمو الشك فى النفوس يقعدها عن تحصيل الأدوات السابقة :

﴿ وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾(٢١٠) .

وهؤلاء كما قلنا :

مصدر خطر ، ومنبع شقاء ، ودبيب عجز وهزيمة ، وشر مستطير ، ومرض عضال ، بين أفراد الجماعة المؤمنة .

ولذا ...!!!

بين المولى – حرصا منه على أوليائه – هذه الفئة ، المنهزمة نفسيا ، والتى تحاول زرع الهزيمة حيثما وجدت .

ونبه عليها ؛ تفويتا لفرصتها ، وشلا لفاعليتها ، وكشفا لدورها ، وحجمها ، وهدفها ؛ حتى لا تعوق مسيرة النجاح والصعود .

---

(٢١٠) سورة الأحزاب : الآية ١٢ .

ودعا الأمة إلى السير فى الطريق قدما دونما تأثر بهؤلاء الشواذ ، أو بكاء عليهم .

يعنى :

لا يهمنكم ، ولا يشغلنكم ولا يوقفن مسيرتكم ، ولا يعطلنها :

﴿ من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

وهذه سنة الله فى خلقه .

﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾(٢١١) .

* * *

(٢١١) سورة الأحزاب : الآية ٦٢ .

خطــر الغــرور

الغرور بضم الغين : الباطل ، وقيل ما اغتر به من متاع الدنيا[٢١٢] .

والغرور (بالفتح) .

قيل : زينة الأشياء فى الدنيا ، وقيل : الدنيا .

وقيل : كل ما يغر الإنسان من : مال ، وجاه ، وشهوة وشيطان[٢١٣] .

وهو داء خطير مدمر ، للفرد ،وللجماعة ، وللمبادىء .

ولذلك :

حذر المولى سبحانه وتعالى منه .

حيث يقول :

﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾[٢١٤] .

ويقول تعالى :

﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾[٢١٥] .

ويقول الإمام الغزالى فى كتابه النفيس (إحياء علوم الدين) :

«وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير ، وهم مخطئون فيه ، فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم ، حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض .

وأظهرها وأشدها : غرور الكفار ، وغرور العصاة والفساق »[٢١٦] .

---

(٢١٢) ابن منظور : لسان العرب – مادة غرر .

(٢١٣) الأصفهانى : المفردات ، كتاب الغين .

(٢١٤) سورة لقمان : الآية ٢٣ ، سورة فاطر : الآية ٥ .

(٢١٥) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ ، سورة الحديد : الآية ٢٠ .

(٢١٦) ٣/٤٧٠ وما بعدها .

ثم يقدم – رضى الله عنه – بيانا لأصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف .

وهم أربعة ، يذكرهم فى كتاب ذم الغرور – من الأحياء – فيقول :

الصنف الأول : أهل العلم .

والمغترون منهم فرق ، وذكر منها إحدى عشرة فرقة .

الصنف الثانى : أرباب العبادة والعمل .

والمغرورون منهم فرق كثيرة .

فمنهم : من غروره فى الصلاة .

ومنهم : من غروره فى تلاوة القرآن .

ومنهم : من غروره فى الحج .

ومنهم : من غروره فى الغزو .

ومنهم : من غروره فى الزهد .

ثم يقول : وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل ، فليس خاليا عن غرور ، إلا الاكياس ، وقليل ما هم .

الصنف الثالث : المتصوفة .

المغترون منهم فرق كثيرة . وذكر منها عشرا .

الصنف الرابع : أرباب الأموال .

والمغترون منهم فرق . وذكر منهم ست فرق .

ويقول ، رضى الله عنه ، فى ختام هذا الباب الهام :

قيل : الناس كلهم هلكى إلا العالمون .

والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون .

والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون .

والمخلصون على خطر عظيم .

فإذن : المغرور هالك ، والمخلص الفار من الغرور : على خطر .

فلذلك : لا ينبغى أن يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبدا[٢١٦].

ومن هنا : يمكن لنا أن نفهم حرص المولى سبحانه وتعالى على الجماعة المؤمنة من أن يتسرب الغرور إليها ؛ فيهلكها ، ويدمرها .

وسواء أكان هذا الغرور بسبب قيامها ونجاحها فى أدوات التقدم – الإيمان ، والعمل الصالح ، والعبادة – جميعها ، أو بعضها !!

أم كان هذا الغرور بسبب حصولها – بإذن الله تعالى – على نتائج التقدم وثمار النهضة – الخلافة ، والتمكين ، والأمن – جميعها ، أو بعضها !!

ويتجلى هذا الحرص فى حماية الجماعة المؤمنة من الغرور وذلك :

بالتأكيد على وجوب الالتزام بالتشريعات الإلهية ، وامتثال الأوامر ، واجتناب النواهى الربانية .

وبطلب إسلام الوجه لله ، والعقل لله ، والخضوع والاذعان ، واليقين بأن النجاح فى القيام بأدوات التقدم ؛ فضل من الله تعالى ، وأن الحصول على ثمار النهضة ؛ فيض من الله تعالى .

وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾[٨٨] .

أى أن استمرار التقدم ، ودوام الرقى ، مرهون – حتى بعد الحصول عليه بأسبابه – بالالتزام بنفس المنهاج ، والمحافظة على نفس الشروط .

فلا انحراف ، ولا اعوجاج ، ولا نكوص ، ولا استعلاء على الله تعالى : أو على تشريعه .

فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة : راجين أن ترحموا[٢١٧] .

---

(٢١٧) انظر : أبو السعود ١٤٣/٤ .

وهذا هو ما ينبغى أن يكون عليه المسلمون ، مهما بلغوا من درجات الرق ، والتمكين والأمن والنهضة .

صيانة لهم : من الغرور .

وصيانة لما حصلوا عليه : من الهدم .

وصيانة للبشرية : من الضياع .

وهؤلاء هم المؤمنون حقا .

فأنعم بهم من أمة .

وأنعم بهم من خلفاء يوم أن يكون ذلك بإذن الله :

﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾[٢١٨] .

---

(٢١٨) سورة الحج : الآية ٤١ .

حـرب الأعـداء النفسيـة

والحرب النفسية : أخطر كثيرا على الأمم والجيوش من حرب القنابل والدبابات ، وأسرع كثيرا فى الوصول بمن تصوب إليه إلى الهزيمة من الصواريخ والنفاثات .

إذ هى توجه مباشرة إلى الإرادة فى الإنسان ، والتصميم لديه على بلوغ هدفه ؛ فتفتك بعزيمته ، وتشل فاعلية رغبته ، وتحيله كافرا بمبادئه التى كان يدافع عنها ، ويحارب من أجلها ، أو على الأقل شاكا متشككا فيها ، وفى صلاحيتها .

وهنا : يسهل تخريبه ، وتحطيمه ، وتدميره .

بينما توجه القنابل والدبابات والصواريخ والنفاثات وغير ذلك من أعتى الأسلحة : إلى جسم الإنسان ، الذى قد تصيبه ، وقد لا تصيبه ، فإن أصابته : غذيت المبادىء التى أصيب من أجلها بدمه ، ونمت وترعرعت فيمن بعده من أتباعه ، وإن لم تصبه : زاده نجاحه فى النجاة من شرها والتغلب عليها اصرارا على مبادئه ودفاعا عنها .

ومن هنا : كان حرص المولى سبحانه وتعالى على حماية أوليائه من أخطار هذه الحرب النفسية ، التى توجه إليهم من أعدائهم .

وهى : حرب ، دائبة ، مستمرة ، نشطة ، متجددة ، متلونة ، مؤثرة – كذلك – فى كثير من النفوس .

ولهذا : كان الاهتمام ، والتركيز الشديد من القرآن الكريم على مواجهة هذه الحرب .

وتتمثل هذه المواجهة فى عدة أمور :

الأول : تحجيم هؤلاء الأعداء ، والتهوين من شأنهم .

الثانى : بيان أن الغلبة لأولياء الرحمن .

الثالث : التأكيد على أن النصر من عند الله .

الرابع : البشارة بسوءمآل ونهاية الأعداء فى الدنيا والآخرة .

وكلها تعطى الثقة الكاملة للمؤمنين ، وتزرع فى نفوسهم القوة الحقيقية ، وتبعد عنهم شبح الحرب النفسية ، مهما تجددت وتلونت أساليب هذه الحرب .

وهذا واضح غاية الوضوح فى قوله تعالى فى « تذكرة الدواء الإلهية » :

﴿ لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾[٨٨] .

ومن الذى يملك ابطال اعجازهم وقوتهم وجبروتهم ؟

إنه بالطبع من يملك أن يجعل مأواهم النار !!

وهو الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا :

١ – فالذين كفروا ليسوا بغالبين .

٢ – والذين آمنوا هم الغالبون .

٣ – وأن تعجيز الكافرين ، وغلبة المؤمنين : من الله سبحانه وتعالى ، ولا يملك ذلك – فى الحاليين – إلا هو .

٤ – وأن مأوى الكافرين النار وهى بشارة بالسوء لهم ، تتضمن البشارة الحسنى للمؤمنين ، الذين مأواهم – بفضل الله – الجنة .

وهى : آية عظيمة، كافية فى رفع الهزيمة عن نفوس المؤمنين، التى قد تأتى لهم ، لتسكن صفوفهم ، بشتى الوسائل ، وبعديد الألوان .

وهى – كذلك – آية عظيمة كافية فى فتح أبواب النصر ، والغلبة ، والتفوق على أعداء الله سبحانه وتعالى ، أعداء المسلمين ، فى شتى مجالات التفوق والاستعلاء .

ومضمون هذه الآية واضح فى القرآن الكريم غاية الوضوح ، والتركيز عليه بالغ الاهتمام ، فى نقاطه الأربع .

وذلك – فى إشارة سريعة – على النحو التالى :

الأمر الأول : تحجيم الأعداء والتهوين من شأنهم :

إن تحجيم الأعداء ، والتهوين من شأنهم ، وإظهار عجزهم ، وإبطال كيدهم ، أمر واضح فى آيات كثيرة من القرآن ، نذكر منها قليلا ، حسب الأمور التى ركز عليها القرآن الكريم :

(١) فقد أبطل القرآن الكريم : نفع أعمالهم ، وإن حسبوها صالحة .

يقول المولى عز وجل :

﴿ قل هل نبئكم بالأخسرين أعمالا ۞

الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ۞

أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم هم يوم القيامة وزنا

ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ﴾[١٢٠] .

ويقول تعالى :

﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾[٢١٩] .

(٢) وقد أبطل القرآن الكريم : نفع أموالهم ، وأولادهم وإنفاقهم .

أقرأ قوله تعالى :

---

(٢١٩) سورة إبراهيم : الآية ١٨ .

﴿ إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾(٢٢٠) .

وقوله تعالى :

﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾(٢٢١) .

(٣) وقد أبطل القرآن الكريم : بريق ما هم فيه من نعيم .

حينما قال تعالى :

﴿ وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع ﴾(٢٢٢) .

وقال :

﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾(٢٢٣) .

﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾(٢٢٤) .

وقال :

﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾(٢٢٥) .

---

(٢٢٠) سورة آل عمران : الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

(٢٢١) سورة التوبة : الآية ٨٥ .

(٢٢٢) سورة الرعد : الآية ٢٦ .

(٢٢٣) سورة الحجر : الآيتان ٢ ، ٣ .

(٢٢٤) سورة محمد : الآية ١٢ .

(٢٢٥) سورة الأحقاف : الآية ٢٠ .

(٤) وقد أبطل القرآن الكريم : سعة تصرفهم وقدرتهم .

~~إذ يقول سبحانه وتعالى :~~

~~﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ﴾~~[٢٢٦] .

~~وقيل فى سبب نزول هذه الآية :~~

إن المسلمين قالوا : إن الكفار لهم تجارات ، وأموال واضطراب فى البلاد ، وقد هلكنا نحن من الجوع .

فنزلت[٢٢٧] :

﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ .

ونظير هذه الآية قوله تعالى :

﴿ ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد ﴾[٢٢٨] .

أى : لا يخيفك – أيها المؤمن – تصرفهم فى البلاد ؛ وسلامتهم بعد كفرهم ، فإنى وإن أمهلتهم لا أهملهم ، بل أعاقبهم[٢٢٨] .

وعلى هذا :

فلا قيمة : لعروشهم ، وقروشهم ، وحولهم ، وطولهم ، واستكبارهم ، واستعمارهم .

إذ :

(٥) أثبت القرآن الكريم : أنهم فى شقاق ومنازعة .

---

(٢٢٦) سورة آل عمران : الآيتان ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٢٢٧) الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/٤ .

(١٤٣) سورة غافر : الآية ٤ . وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٩٢/١٥ .

وذلك بالرغم من اتحاداتهم ، وأسواقهم المشتركة، ومؤتمراتهم المتعددة ، وأحزابهم الكثيرة ، وتحالفاتهم المثيرة .

حيث يقول سبحانه وتعالى بثا للطمأنينة فى نفوس أوليائه المؤمنين :

﴿ بل الذين كفروا فى عزة وشقاق ﴾[٢٢٩] .

أى : فى تكبر شديد عن اتباع الحق .

وكذلك : هم فى نزاع كبير ، وعداء دائم ، ومخالفة مستمرة ، فيما بينهم وبين أنفسهم[٢٣٠] .

(٦) وأثبت القرآن الكريم : عجزهم ، ومهانتهم أمام قدرة الله سبحانه وتعالى ، وفى مواجهة أولياء الله .

وذلك واضح فى ثلاثة عشر موضعا من القرآن الكريم .

منها قوله تعالى :

﴿ ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم لا يعجزون ﴾[٢٣١] .

وقوله لهم :

﴿ وأعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين ﴾[٢٣٢] .

وقوله تعالى فى قاعدة عامة ، يستفيد بها المؤمن ثقة واطمئنانا ، ويزدجر منها – ويخزى بها – الكفرة الفجرة :

﴿ ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين ﴾[٢٣٣] .

---

(٢٢٩) سورة ص : الآية ٢ .

(٢٣٠) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٤٣/٢ .

(٢٣١) سورة الأنفال : الآية ٥٩ .

(٢٣٢) سورة التوبة : الآية ٢ .

(٢٣٣) سورة الأحقاف : الآية ٣٢ .

(٧) وأمر القرآن الكريم أتباعه : بعدم الخوف منهم وعدم الوهن أمامهم ، والشجاعة فى مواجهتهم .

إذ قال :

﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾(٢٣٤) .

وقال :

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾(٢٣٥) .

الأمر الثانى : بيان أن الغلبة لأولياء الرحمن :

وذلك واضح غاية الوضوح لمن تصفح كتاب الله تعالى .

حيث يركز القرآن الكريم فى عناية شديدة ، وتأكيد قاطع ، على غلبة أوليائه ، فى النقاط التالية :

١ – التثبيت للمؤمنين ، وتقوية نفوسهم وعزائمهم .

٢ – أن النصر لهم ، حتى ولو قلت الإمكانات المتاحة أمامهم .

٣ – أن الغلبة ، والفوز ، والتفوق على الأعداء من نصيبهم .

وبيان ذلك :

بالنسبة للتثبيت :

يقول تعالى :

﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ﴾(٢٣٦) .

---

(٢٣٤) سورة آل عمران : الآية ١٧٥ .

(٢٣٥) سورة آل عمران : الآية ١٣٩ .

(٢٣٦) سورة يونس : الآيات ٦٢ – ٦٤ .

ويقول :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾[٢٣٧] .

وبالنسبة للنصر على الأعداء :

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون ﴾[٢٣٨] .

ويقول :

﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾[٢٣٩] .

والنصر لهم حتى ولو قلت الإمكانات فى جانبهم .

اقرأ قوله تعالى :

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾[٢٤٠] .

والتاريخ يعرف ذلك جيدا .

ونذكر مما يعرف التاريخ ، ويذكر القرآن ، تلكم المرة ، التى قال الله تعالى فيها :

﴿ يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال

إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين

---

(٢٣٧) سورة فصلت : الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

(٢٣٨) سورة الصافات : الآيات ١٧١ – ١٧٣ .

(٢٣٩) سورة الروم : الآية ٤٧ .

(٢٤٠) سورة البقرة : الآية ٢٤٩ .

وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا

بأنهم قوم لا يفقهون *

الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا

فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين

وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله

والله مع الصابرين ﴾(٢٤١) .

وبالنسبة للغلبة والفوز والتفوق على الأعداء :

يعلنها القرآن صريحة مجلجلة ، مدوية ، مطمئنة لقلوب المؤمنين .

فى قوله تعالى :

﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾(٢٤٢) .

وفى صراحة أكثر ، ووضوح ما بعده وضوح ، يقول :

﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين * كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾(٢٤٣) .

٣-٤ **~~الأمر الثالث~~ : النصر للمؤمنين من عند الله :**

وهذا أمر : أكد عليه القرآن ، وحرص على بيانه لأولياء الله ؛ تثبيتا لأفئدتهم ، ومناصرة لهم على الحق الذى هم فيه وعليه .

---

(٢٤١) سورة الأنفال : الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

(٢٤٢) سورة المائدة : الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

(٢٤٣) سورة المجادلة : الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

ولذا ...

لا ينبغى التشكك فيه .

وذلك ! بأية صورة من صور التخاذل أمام الأعداء ، أو الخوف منهم ، أو الهزيمة النفسية التى قد تسببها دعاياتهم ، أو مخترعاتهم ، أو كثرتهم .

رغبة فى حسن الوصول إلى القيام بأدوات النهضة ؛ وأملا فى حسن الوصول إلى امتلاك ثمارها .

ويتضح حرص القرآن الكريم على إظهار هذا الأمر فيما يلى :

إذ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾(٢٣٩) .

ويقول :

﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ﴾(٢٤٤) .

ويحفظ التاريخ ويسجل القرآن هذا النصر للمؤمنين منذ القدم ، حيث يقول تعالى :

﴿ ولقد مننا على موسى وهارون * ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم * ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ﴾(٢٤٥) .

وما نصر بدر عنا ببعيد ..!!

إذ يقول تعالى :

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة

---

(٢٤٤) سورة غافر : الآية ٥١ .

(٢٤٥) سورة الصافات : الآيات ١١٤ - ١١٦ .

مسومين * وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾[٢٤٦] .

٤-٤ ~~الأمر الرابع~~ : البشارة بسوء مآل ونهاية الأعداء فى الدنيا والآخرة :

وآيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ تزخر بالكثير والكثير مما يؤكد هذا الأمر ويكشف جوانبه .

لكننا نكتفى فى تَصْوِير هذا الأمر بنقل محاورة - من محاورات القرآن الكريم - تُصَوِّر هذه النهاية أبلغ تصوير .

وهى جزء من قصة (مؤمن آل فرعون) فى دعوته لقومه .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وقال الذى آمن

يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد *

يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار * من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب *

ويا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار * تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار * لا جرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار *

فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد *

فوقاه الله سيئات ما مكروا

وحاق بآل فرعون سوء العذاب *

---

(٢٤٦) سورة آل عمران : الآيات ١٢٣ - ١٢٦ .

النار يعرضون عليها غدوا وعشيا

ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب *

وإذ يتحاجون فى النار

فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار *

قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد *

وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب *

قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات

قالوا بلى

قالوا فادعوا

وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال*

إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾[٢٤٧] .

* * *

وبهذا ...

يكون القرآن – فى تذكرة الدواء الإلهية بسورة النور[٨٨] – قد أزال خطر كل المعوقات ، التى تعترض طريق المؤمنين .

لحسن اكتساب أدوات تقدمهم وشروط نهضتهم .

وكذلك : لحسن الإفادة من نتائج التقدم وثمار هذه النهضة :

---

(٢٤٧) سورة غافر : الآيات ٣٨ – ٥٢ .

نعم ..

﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾(٢٤٨) .

* * *

وبالتالى ...

بحسن اكتساب أدوات التقدم وشروط النهضة ؛ يمكن الوصول إلى الإفادة من نتائج التقدم وثمار النهضة .

لكن .. !!

ما نتائج التقدم وثمار النهضة هذه ..؟

هذا ما يجيب عنه الباب التالى .

---

(٢٤٨) سورة المائدة : الآية ٥٤

الباب الثالث

نتائج التقدم ... وثمار النهضة

* تقديم ..
* الفصل الأول : الخلافة ..
* الفصل الثاني : التمكين ..
* الفصل الثالث : الأمن ..

تقديـــــم

بعد أن استعرضنا فى الباب الأول :

أبعاد الأزمة الراهنة ، التى أدت إلى : تخلف المسلمين المهين ، وانحطاطهم المشين ، وفقرهم من مقومات النجاح ، وبعدهم عن صفوف الزعامة ، وعجزهم عن الخلافة والقيادة .

وتعرضنا فى الباب الثانى

إلى بيان أدوات تقدم المسلمين وشروط نهضتهم من هذه الكبوة التى يرسفون فى أغلالها ويعانون منها ، كما وضحت ذلك (تذكرة الدواء الإلهية) بسورة النور(٨٨) .

إذا ما وعينا درس ، بل دروس ، هذه الأزمة ،

وشعرنا بفداحة التخلف ، وحقارة الانحطاط ،

وآلمنا شناعة فقرنا من مقومات النجاح ،

وأفزعنا بعد مكاننا ، ومكانتنا ، عن صفوف الزعامة ،

وحز فى نفوسنا عجزنا عن الخلافة والقيادة .

وأثمر ذلك كله : رغبة جادة ، وصحوة واعية صادقة ، فى الخلاص من هذه الأزمة وعواملها وآثارها .

ثم أثمرت – بالتالى – هذه الرغبة : بدءً فى السير ، الجاد ، الواعى ، السليم ، على طريق الخلاص من هذه الأزمة .

وإذا كان من نصيب هذا السير ، الجاد ، الواعى ، السليم : الاستمرار ، والمثابرة ، والتوفيق ..!!

تحقق لهذه الأمة ما طلبه الله تعالى منها فى (تذكرة الدواء الإلهية) .

وملكت أدوات التقدم وتحلت بشروط النهضة .

فإذا حققت الأمة الإسلامية ما طلب الله تعالى منها فى تذكرة الدواء الإلهية !!

وإذا ملكت أدوات التقدم ، وتحلت بشروط النهضة ..!!

وإذا تغلبت على المعوقات ، التى تصاحب هذا الجهاد ، والتى تحدثنا عنها فيما سبق !!!

وإذا جعلت التغلب على هذه المعوقات نصب أعينها دائما ، حتى لا توقف مسيرتها ، وسعيها فى امتلاك أدوات التقدم ، وشروط النهضة !!

خرجت – بإذن الله تعالى – من أزمتها الراهنة .

* * *

وعلامة انتهاء أزمتها ، وخروجها من مأزقها الراهن الذى تعانى منه ، هى حصولها على : نتائج تقدمها ، وثمار نهضتها .

وهذه النتائج والثمار هى :

الخلافة .

التمكين .

الأمن .

وهى موضوع حديثنا فى هذا الباب .

* * *

هذا ..

وينبغى أن يكون واضحا فى صدر هذا الباب :

(أ) أن هذه النتائج ، وتلك الثمار ، قُدِّمت فى تذكرة (الدواء الإلهية) لأمراض الأمة الإسلامية ، فى صورة (وعد من الله تعالى) .

﴿ وكان وعد ربى حقا ﴾[249] .

كما أنه :

﴿ لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[250] .

وفى هذا ما فيه من :

عوامل الطمأنينة للمسلمين .

وحثهم على عدم الخنوع ، والاستسلام لأية : هزيمة تصيبهم ، أو تخلف يحل قريبا من ديارهم وصفوفهم ، أو انحطاط يجثم - كالكابوس - فوق صدورهم .

وبث للثقة فى نفوسهم .

وتشجيع على امتلاكهم أدوات التقدم ، وتحصيلهم لشروط النهضة .

(ب) أن كل واحدة من هذه النتائج صدرت بلام القسم :

﴿ ليستخلفنهم فى الأرض ... ﴾ .

﴿ وليمكنن لهم دينهم ... ﴾ .

﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. ﴾ .

يقول النيسابورى فى تفسيره :

(وفى الوعد معنى القسم ؛ لأن وعد الله محقق الوقوع ، ولذلك قال فى جوابه « ليستخلفنكم » .

أو القسم محذوف : أى أقسم ليجعلنكم خلفاء فى الأرض)[251] .

---

(٢٤٩) سورة الكهف : الآية ٩٨ .

(٢٥٠) سورة الروم : الآية ٦ .

(٢٥١) غرائب القرآن ١٢٥/١٨ .

أى : قال فى جوابه على التقدير الأول : ليستخلفنهم ..، وليمكنن لهم ...، وليبدلنهم ..

أو أقسم -.على التقدير الثانى - ليجعلنهم خلفاء الأرض ، وليمكنن لهم ، وليبدلنهم .

وفى التأكيد على تحقق هذا الوعد ، وهو الحصول على نتائج التقدم وثمار النهضة ، بهذا الشكل ، ما فيه من :

زيادة جرعة الثقة لدى المسلمين ، واليقين فى نيل هذه النتائج بعد امتلاكهم لأدوات التقدم وشروط النهضة .

وإعطائهم الأمن واليقين فى نوال ذلك .

وفتح باب الأمل أمامهم ، كحافز يدفعهم للمثابرة فى نوال وامتلاك هذه الأدوات .

* * *

وقد أشارت السنة النبوية ، إلى تحقيق هذا الوعد ، ببيان لا مزيد عليه ، فى حديث يرويه الإمام البخارى .

عن خباب بن الأرت .

قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ ، وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة .

فقلنا :

ألا تستنصر لنا ..!!

ألا تدعو لنا ..!!

فقال :

« قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ،

فيحفر له فى الأرض ، فيجعل فيها ،

فيجاء بالمنشار ، فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ،

ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه ،

فما يصده ذلك عن دينه .

والله : ليتمن هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ..!!

ولكنكم تستعجلون »[٢٥٢] .

* * *

ولأنكم تستعجلون ..!!

يخاف المولى سبحانه وتعالى عليكم من أن :

تنهار ثقتكم ،

أو يضعف عزمكم ،

أو يضيع الأمل منكم فى نجاحكم ، ونوالكم نتائج التقدم .

---

(٢٥٢) صحيح البخارى : كتاب : الإكراه ، باب : من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر .

ومن هنا :
أكد بلام القسم على كل واحدة من هذه النتائج ،

رحمة بنا ، وحبا لنا ،

وحثا على نوال نتائج التقدم وثمار النهضة .

فإلى بيان : هذه النتائج ، وتلكم الثمار .

* * *

الفصل الأول

الخلافـــــة

* تعريف ..
* لِمَن الخلافة .. ؟
* بعض صور الخلافة ..
* بشارة نبوية ..
* المطلوب بعد الاستخلاف ..
* حكم المقصرين ..

تعريـــف

والخلافة : هى النيابة عن الغير .

وتكون :

إما لغيبة المنوب عنه .

وإما لموته .

وإما لعجزه .

وإما لتشريف المستخلف (بفتح اللام)[٢٥٣] .

وعلى هذا الوجه الأخير كانت الخلافةالكبرى المذكورة فى قوله تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة

قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك

قال إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾[٢٥٤] .

ثم ..

لما كثر الناس ، وتعددت أجناسهم وألوانهم ، وصاروا أمما وقبائل :

﴿ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل ﴾[٢٥٥] .

وبمضى الأيام ، وتوالى العصور : تباعدت القبائل واختلفت الشعوب :

﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ﴾[٢٥٦] .

---

(٢٥٣) الأصفهانى : مفردات القرآن ، مادة : خلف .

(٢٥٤) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٢٥٥) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٢٥٦) سورة يونس : الآية ١٩ .

نعم ..

﴿ **اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر** ﴾[٢٥٧] .

ولما كانت الخلافة للتشريف !!

ولما كانت الخلافة أمانة !!

ولما كانت الخلافة مسئولية !!

كان من الضرورى ، أن تكون الخلافة من نصيب :

من يستحق التشريف .

من يصون الأمانة .

من يقدر المسئولية .

وهم :

﴿ **الذين آمنوا** ﴾ .

* * *

(٢٥٧) سورة البقرة : الآية ٢٥٣ .

وليس كل (الذين آمنوا) بأهل للخلافة .

بل لابد لهم – وفيهم – من توافر هذه الصفات الثلاث ، التى ذكرت فى تذكرة الدواء الإلهية ، كما عرضتها سورة النور[٨٨] .

وهى :

الإيمان على النحو الذى تقدم .

والعمل الصالح كذلك .

ثم العبادة بالمفهوم الشامل الذى سبق توضيحه .

ولا يخفى أنه مع توافر هذه الصفات ، وامتلاك هذه الأدوات ، لابد من أن يتصف أهل الخلافة بـ :

الاستعانة بالله تعالى دائما ؛ رغبة فى التحلى بهذه الصفات ، ودوام امتلاك هذه الأدوات ، والنجاح فى مهام هذه الخلافة .

وكذلك الصبر على : مؤهلات هذا التشريف ، وصيانة هذه الأمانة ، وضخامة هذه المسئولية .

وهو ما حث عليه سيدنا موسى قومه ، حينما قال لهم :

﴿ استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ٭

قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا

قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون ﴾[٢٥٨] .

---

(٢٥٨) سورة الأعراف : الآيتان ١٢٨ ، ١٢٩ .

بعض صـــور الخلافـــة

وهذه الخلافة فى كل شىء .

فهى :

خلافة فى الأهل .

خلافة فى الأولاد .

خلافة فى المال .

اقرأ قوله تعالى منبها للإنسان بعدم الملكية ، ومؤكدا على الخلافة ، ومشعرا بالمسئولية :

﴿ آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا وانفقوا لهم أجر كبير ﴾(٢٥٩) .

وهى كذلك : خلافة فى السلطان وعمارة الكون .

وقد امتن الله على (ثمود) قوم (صالح عليه السلام) بها ، وأمرهم بصيانتها ، والعمل بموجباتها .

إذ يقول تعالى :

﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا ﴾(٢٦٠) .

كما بين أنها امتحان واختبار لكل من نيط به أمانة حملها ،

ينجح فى هذا الاختبار من ينجح : فيعمر الكون – فى ظل خلافته – وتستقيم الحياة ، ويسود العدل ،

---

(٢٥٩) سورة الحديد : الآية ٧ .

(٢٦٠) سورة الأعراف : الآية ٧٤

ويفشل فى هذا الامتحان من يفشل : فيعم الفساد ، وتنحرف الحياة ، ويتوارى العدل .

يقول تعالى :

﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾(٢٦١) .

وهى فى نفس الوقت : وعد من الله تعالى لمن حقق شروطها ، وتحلى بمؤهلاتها ، وكان أهلا للقيام بأمانتها .

إذ يقول تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ... ﴾(٨٨) .

---

(٢٦١) سورة الأنعام : الآية ١٦٥ .

بشـــارة نبويـــة

وإذا كانت الخلافة امتحان واختبار ..!!

وإذا كانت الخلافة وعد من الله تعالى ..!!

وإذا كانت من صورها : الخلافة فى السلطان وعمارة الكون ..!!

فقد بشر النبى ﷺ بها ، مما يوحى ويشعر أن التحقق بشروطها ، والتحلى بمؤهلاتها ، والتأهل للقيام بأمانها ، قد اقترب .

ففيما رواه الإمام أحمد فى مسنده ، عن النعمان بن بشير ، أنه قال : كنا قعودا فى المسجد مع رسول الله ﷺ ،- وكان بشير رجلا يكف حديثه – فجاء أبو ثعلبة الخشنى ، فقال : يا بشير بن سعد .. أتحفظ حديث رسول الله ﷺ فى الأمراء ..!! فقال حذيفة : أنا أحفظ خطبته ، فجلس أبو ثعلبة ، فقال حذيفة :

قال رسول الله ﷺ :

« تكون النبوة فيكم ، ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

ثم تكون ملكا عاضا ، فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

ثم تكون ملكا جبرية ، فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة .

ثم سكت »(٢٦٢) .

---

(٢٦٢) مسند الإمام أحمد .. حديث النعمان بن بشير .

المطلوب بعد الخلافـــة

ولأن مجال الاستخلاف واسع ، وحدوده عريضة ، وخطره كبير ..!!!

فقد اشترط المنيب سبحانه وتعالى ، على من أنعم عليه بالخلافة ، أن يصلح ، بعد نوالها .

حيث يقول لأحد خلفائه ، معلما لغيره ، ومحذرا من عدم الإصلاح :

﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾(٢٦٣) .

والإصلاح حال الخلافة ، وبها : من أهم متطلباتها .

والحكم بين الناس بالحق – لا بالهوى – من أهم متطلباتها .

وترسيخ قواعد العدل بين الناس كذلك .

وتسكين السلام والأمن دنيا الناس كذلك .

ولذا ...

فمن أعطاه الله تعالى ، ومنحه هذه الثمرة : فليحافظ عليها ، بالقيام بمتطلباتها ، فيم استخلف فيه وعليه .

وأنتم دائما تحت الاختبار والامتحان ما دامت الخلافة بأيديكم والاستخلاف من نصيبكم .

﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ﴾(٢٦١) .

---

(٢٦٣) سورة ص : الآية ٢٦ .

﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين *

ثم جعلناكم خلائف فى الأرض لننظر كيف تعملون ﴾(٢٦٤) .

أى : أنكم بعد إهلاكهم بفشلهم ، ومنحكم شرف الخلافة ، فى محل الاختبار والامتحان بهذا الاستخلاف ، وفيه .

فإن أحسنتم : أحسنتم لأنفسكم ، واستمرت الخلافة من نصيبكم ، وظل شرفها قلادة فى أعناقكم .

وإلا : فإن عقاب مخالفة - أو التقصير فى - متطلباتها شديد على النحو الذى يعرضه القرآن الكريم .

وعلى ذلك :

فالمحافظة على هذه النتيجة : أمر بالغ الأهمية ، ليس للفرد فقط ، بل للجماعة الإنسانية كلها .

والمحافظة عليه تكون : بالمحافظة على امتلاك الأدوات التى أهّلت لنوالها، والتفوق فيها .

وتكون بعدم الانحراف - بالخلافة - ناحية الأهواء الشخصية أو الأغراض غير النافعة ، فضلا عن المدمرة .

وتكون بعدم استعباد الإنسان - فى ظل هذه الخلافة - لأخيه الإنسان ، بل بكونها وسيلة لتوجيه الإنسان بصدق العبودية لله تعالى .

وتكون بنشر أنوار الهداية الربانية للعالمين دوما ، وفى كل مكان ، وعبر كل وسيلة من وسائل النشر .

وتكون بإقرار السلام العالمى - استهداء ، واستشفاء بتذكرة الدواء الإلهية - بين ربوع المعمورة وسكانها ، وإنهاء هذه الحروب المدمرة .

---

(٢٦٤) سورة يونس : الآية ١٤ .

وتكون بالنجاح فى الاستظلال بوارف العدل الإلهى ، الذى يرسى جذور السلام ، ويشيع الأمن والاطمئنان بين العالمين .

وتكون – كذلك – بما يزيد على ذلك ولا يتسع له المقام .

ومن لم يساعد فى امتلاك أدوات التقدم بهدف الوصول إلى هذه النتيجة وغيرها : فهو مسئول أمام الله سبحانه وتعالى عن تقصيره فى ذلك .

ومن لم يساعد فى المحافظة على هذه النتيجة : فهو مسئول أمام الله تعالى .

لأنه ليس من المنطق أن يسأل عن تقصيره فى الخلافة الخاصة ، أو الصغيرة ، ولا يسأل عن تقصيره ، وعدم محافظته على الخلافة العامة ، أو الكبيرة .

وهذا رسول الله ﷺ يحذر من التقصير ، بل من المسئولية عن التقصير فى الخلافة الخاصة ، أو الصغيرة .

حينما يقول فيما يرويه الإمام البخارى[٢٦٥] .

« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .

الإمام راع ومسئول عن رعيته .

والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته .

والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها .

والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته .

والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته .

وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

فما بالنا بالمسئولية عن الخلافة العامة ، والزعامة العالمية .

التى شرف الله الأمة الإسلامية بها ، ولفت أنظارهم إليها ، وأكد عليهم فى مسئوليتهم عنها .

---

(٢٦٥) كتاب : الجمعة ، باب : الجمعة فى القرى والمدن .

بقوله تعالى :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾[٨٥] .

وما بالنا بحجم الخسارة فى التضييع ، أو التفريط ، أو التقصير ، فى هذه الأمانة ؟

* * *

حكـــم المقصريـــن

ويعرض القرآن الكريم لعقاب المقصرين بصورة : أخاذة ، بالغة التنبيه ، والتحذير .

فهى تبدأ بسحب الثقة من المقصرين ، واستخلاف غيرهم .

﴿ وربك الغنى ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾(٢٦٦) .

ولن يحيق الضرر فى هذه الحالة إلا بكم – يا من استخلفتم فقصرتم – ولن تكون الخسارة إلا لكم .

﴿ ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ﴾(٢٦٧) .

وليست نتيجة مخالفة من خالف ، وتقصير من قصر فى أمانة الخلافة ذلك فقط ..!!

بل هناك كذلك :

المقت الإلهى والخسارة الفادحة .

﴿ هو الذى جعلكم خلائف الأرض فمن كفر عليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا ﴾(٢٦٨) .

يقول الإمام أبو السعود فى تفسيره :

(يقال للمستخلف : خليفة وخليف ، والأول يجمع خلائف ، والثانى خلفاء .

---

(٢٦٦) سورة الأنعام : الآية ١٣٣ .

(٢٦٧) سورة هود : الآية ٥٧ .

(٢٦٨) سورة فاطر : الآية ٣٩ .

والمعنى :

أنه تعالى : جعلكم خلفاءه فى أرضه ، وألقى إليكم مقاليد التصرف فيها ، وسلطكم على ما فيها ، وأباح لكم منافعها .

أو : جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الأمم ، وأورثكم ما بأيديهم من متاع الدنيا .

لتشكروه بالتوحيد والطاعة .

« فمن كفر » منكم هذه النعمة السنية – وهى الاستخلاف – وغمطها « فعليه كفره » أى : وبال كفره ، لا يتعداه إلى غيره)[٢٦٩] .

* * *

(٢٦٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم .

الفصــل الثانــى

التمكيـن

* تعريف ..
* لمن التمكين .. ؟
* بعض صور التمكين ..
* المطلوب بعد التمكين ..
* حكم المقصرين ..

تعريـــف

التمكين : هو الظفر ، والغلبة ، والعلو .

يقول الزمخشرى : (مكنته من الشيء وأمكنته منه ؛ فتمكن منه ، واستمكن)(٢٧٠) .

وفى لسان العرب :

قال ابن سيده : تمكن من الشيء ، واستمكن : ظفر(٢٧١) .

ولا تكون له فرحة ، ولا لنواله مذاق : إلا إذا كان بعد استضعاف .

ولا تكون له أهمية ، ولا يكون ثمرة تقدم : إلا إذا كان مسبوقا بطغيان جارف ، وظلم فادح ، وجهاد لدفع هذا الطغيان ، ولرفع هذا الظلم .

﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين *

ونمكن لهم فى الأرض

ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾(٢٧٢) .

وعلى هذا :

فلا يكون التمكين بعد هذا الاستضعاف ، والطغيان الجارف ، والظلم الفادح ، والجهاد : للخروج من هذا الاستضعاف ، ولدفع هذا الطغيان ؛ ولرفع هذا الظلم !!

إلا من الله سبحانه وتعالى .

---

(٢٧٠) أساس البلاغة ، مادة : مكن .

(٢٧١) مادة : مكن .

(٢٧٢) سورة القصص : الآيتان : ٥ ، ٦ .

نعم ..

لا يكون التمكين من الله تعالى ، لمن أصابهم الاستضعاف ، وركبهم الطغيان ، وخيم عليهم الظلم ، إلا إذا كان ديدنهم الجهاد الصادق ، الدائب ، الدائم ، للخروج مما أصابهم .

وهؤلاء : لابد من تحقيقهم أولا لما طلب منهم ربهم سبحانه وتعالى ، وامتلكوا أدوات التقدم ، وحازوا شروط النهضة .

وهى :

الإيمان

العمل الصالح

العبادة

على النحو السابق .

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾[٨٨] .

* * *

التمكـــين للديـــن

﴿ وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ﴾ .

وهو الإسلام .

ومن الواضح : أن تعبير القرآن الكريم ، لم يكن « وليمكننهم » حتى لا يفهم أن التمكين لهم ، لذواتهم ، لفضل فيهم ، أو منهم .

ومن الواضح كذلك : أن التعبير لم يكن « وليمكنن الإسلام » .

حتى لا يفهم أن هذا التمكين لا علاقة لهم به ، ولا علاقة له بهم .

بل كان التعبير على هذا النحو ، البليغ ، الذى يفيد :

(أ) إضافة الدين إليهم ؛ إضافة يشرفون بها ، ويسعدون بالانتساب إليه فيها ، إضافة يبيعون من أجلها كل غال ورخيص ، من أنفسهم ، أو من أموالهم :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾(٢٧٣) .

(ب) أن هذا الدين الذى أضافه إليهم ، هو نفسه – سبحانه وتعالى – الذى ارتضاه لهم .

﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾(٢٧٣) .

ومن هنا : فقد شرف الله أتباعه هنا ثلاث مرات :

مرة : حين ارتضى لهم الإسلام دينا .

ومرة : حين أضاف هذا الدين إليهم .

والثالثة : حين جعل تمكين هذا الدين لهم .

---

(٢٧٣) سورة التوبة : الآية ١١١ ، سورة المائدة : الآية ٣ .

ولهذا ...

(جـ) فإن الفصل بالجار والمجرور « لهم » بين أجزاء الجملة الفعلية ؛ ليبين أن هذا التمكين للدين ، هو من أجلهم ، وبسببهم ، وهو ثمرة من ثمار كفاحهم وجهادهم ، ونتيجة من نتائج امتلاكهم لأدوات التقدم .

وإن هذا التعبير على هذا النحو البليغ : ليوحى بشمول التمكين لهذا الدين ، واتساع نفوذه ، وقوة سيطرته ، على البلاد ، وكذلك على العباد ؛ إذا ما حقق الله تعالى هذا الوعد لعباده الذين حققوا ما طلب منهم ربهم .

* * *

بعض صـــور التمكـــين

وإن هذا التمكين ، وهذا النفوذ ، وهذه السيطرة : تأخذ صورا عديدة .

من أوضحها ، بل من أولها : أن تتحول جوانب الضعف لدى المسلمين ، ومظاهر التخلف عندهم إلى عكسها .

وبذلك يتحقق للمسلمين :

(أ) التفوق العلمى .

(ب) التفوق الاقتصادى .

(جـ) التفوق السياسى .

(د) التفوق الدينى .

بحيث لا ينفصل واحد من هذه الجوانب عن الآخر ؛ كما أنه لا يكون تفوقا وجود واحد من هؤلاء ، أو بعض هؤلاء ، وانعدام الباق .

بل لابد أن يكون التفوق فى كل هذه الأمور مجتمعة ، وغيرها ؛ مما يحقق للمسلمين التمكين الحقيقى ، الشامل الذى وعدهم الله تعالى به فى تذكرة الدواء الإلهية بسورة النور [٨٨] .

* * *

والقرآن الكريم : قد نبه على أن التفوق فى هذه الجوانب ، هو من التمكين .

* * *

فمثلا :

جعل من التمكين : التفوق العلمى .

حيث يقول :

**﴿ ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا *
إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا ﴾**(٢٧٤) .

قال ابن عباس : (من كل شىء علما يتسبب به إلى ما يريد)(٢٧٤) .

أى : وببلوغه ما يريد عن طريق هذا العلم ، يحصل له - أو يزداد فى - التمكين فى الأرض .

ثم يواصل القرآن الكريم بيان أثر هذا التفوق العلمى لدى ذى القرنين فى التمكين .

فيقول :

﴿ ثم أتبع سببا *

حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا *

قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا *

وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا *

ثم اتبع سببا *

حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا *

كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا *

ثم اتبع سببا *

---

(٢٧٤) سورة الكهف : الآيات ٨٣ - ٩٨ .وانظر : القرطبى جامع البيان ٤٨/١١ .

حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا *

قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا *

قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما *

آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا

فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا *

قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا ﴾(٢٧٤) .

ولا يخفى أن التفوق العلمى فى عصرنا هذا : قد أثبت فاعليته بصورة واضحة ، جلية ، قوية ، فى حدوث التمكين ، وملكيته لمن يتفوق فى هذا المضمار .

والأمثلة – من فوقنا ، ومن تحتنا، ومن حولنا – كثيرة ، وتؤكد ذلك .

* * *

كما جعل من التمكين : التفوق الاقتصادى .

وهذا واضح غاية الوضوح من موقف سيدنا يوسف عليه السلام ، حينما :

﴿ قال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى ﴾(٣١) .

بعد أن ثبتت براءته ، وظهرت له طهارته :

﴿ فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾(٢٧٥) .

---

(٢٧٥) سورة يوسف : الآيات ٥٤ – ٥٦ .

أى : أنت عندنا ممكن آمن .

وقد ترجم عليه السلام هذا التمكين بالتفوق عن طريق الاقتصاد ، وحسن إدارته ، وسياسة البلاد والعباد وفقه ، حينما :

﴿ **قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم** ﴾[٢٧٥] .

أى : مسئولا عن الجانب الاقتصادى .

ولا يخفى ما فى طلب يوسف عليه السلام تولى هذه المهمة – دون غيرها – من التأكيد على أهمية الاقتصاد ، والتفوق فيه ، فى الحصول على التمكين لأهل التفوق فى هذا الجانب .

وقد أكد القرآن ذلك حينما قال رب العزة :

﴿ **وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء** ﴾[٢٧٥] .

هذا ..

ولا يخفى أن التفوق الاقتصادى فى عصرنا هذا : قد أثبت فاعليته بصورة واضحة ، جلية ، قوية ، فى حدوث التمكين ، وملكيته لمن يتفوق فى هذا المضمار .

والأمثلة – من فوقنا – ومن تحتنا ، ومن حولنا – كثيرة ، وتؤكد ذلك .

* * *

كما جعل القرآن من التمكين : التفوق السياسى ، وذلك عن طريق :

التنبيه الدائم إلى : وحدة هذه الأمة :

﴿ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾[٢٧٦] .

---

(٢٧٦) سورة المؤمنون : الآية ٥٢ .

والدعوة الدائمة إلى : وجوب اعتصامها – أفرادا وجماعات ، شعوبا وحكومات – بهذا الدين ، الذى ارتضاه الله تعالى لهذه الأمة :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾(٤٩) .

والحث الدائم على : توحيد وجهتها ، ووحدة هدفها ، وعدم تمزيق صفها ، وتشتيت جمعها .

فلا اتجاه إلى (بيت أبيض) ، أو خوف من أهله .

ولا اتجاه إلى (بيت أحمر) ، أو خوف من أهله .

بل :

﴿ من حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون ﴾(٢٧٧) .

وأن تكون وحدة الاتجاه إلى « رب المسجد الحرام » رمزا إلى وحدة الاتجاه فى كل المواقف المحلية ، والدولية .

وهذا من شأنه أن يكسبكم مهابة فى قلوب العالمين .

وبالتالى : يكسب رأيكم قوة فى المحافل الدولية تضارع قوة (الفيتو) إن لم تلغه تماما بجانبها .

وساعتها :

وبسبب من التفوق العلمى .

وبسبب من التفوق الاقتصادى .

وبسبب من التفوق العسكرى ، الذى هو ثمرة لهما .

---

(٢٧٧) سورة البقرة : الآية ١٥٠ .

وبسبب من التفوق السياسى .

يستطيع العالم الإسلامى أن يكون له ثقل مشهود على الخارطة العالمية ، وأن يكون له دور محمود فى مجريات الأمور الدولية .

هذا ..

ولا يخفى أن التفوق السياسى - المرتكز على تفوق علمى ، وتفوق اقتصادى ، وتفوق عسكرى - فى عصرنا هذا : قد أثبت فاعليته بصورة واضحة ، جلية ، قوية ، فى حدوث التمكين ، وملكيته لمن يتفوق فى هذا المضمار .

والأمثلة - من فوقنا ، ومن تحتنا ، ومن حولنا - كثيرة ، تؤكد ذلك .

* * *

كما جعل من التمكين : التفوق الدينى .

وذلك : بجعل الدين هو المهيمن ، والمسيطر ، على أحوال البلاد والعباد .

بجعل شرع الله تعالى - وحده ، دون غيره من التشريعات ، وضعية كانت ، أو سماوية - هو المهيمن ، والمسيطر ، على أحوال البلاد ، والعباد .

ومن الجدير بالذكر والتنبيه : أنه لن تتم للدين - وكذلك للشريعة الإسلامية - هيمنته ، ولا سيطرته ، على أحوال البلاد والعباد ؛ إلا بالتفوق فى فهم الدين ، و - كذلك - بالتفوق فى حسن الامتثال لما أمر الله سبحانه وتعالى ، و - ثالثا - بالتفوق فى حسن الاجتناب عما نهى الله سبحانه وتعالى عنه .

وهذا : بجانب - كل - ما سبق ذكره .

كما أنه من الجدير بالذكر والتنبيه والتأكيد : أنه لن يتم التفوق فى فهم الدين ،- وكذلك - فى حسن الامتثال ، و - ثالثا - التفوق فى حسن الاجتناب ؛ إلا بالخضوع التام ، والاذعان الكامل لرب هذا الدين سبحانه وتعالى ، من جانب : الحكام ، والمحكومين ، على السواء .

ونضرب بعض الأمثلة القليلة ، التى أرى أننا بحاجة ماسة إلى التفوق فيها ، والتفوق فيها بالتالى دليل واضح على تحقق التمكين .

ففى الأوامر :

يقول الله تعالى :

﴿ واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾[٢٧٨] .

فقد قرن المولى سبحانه وتعالى هنا : بين وجوب امتثالنا لأمره بالعبادة ، ووجوب امتثالنا لأمره فى فعل الخير .

كما أن الآية الكريمة : ساوت بين هذين الأمرين من حيث طلب الفعل فى كل منهما .

وهذا يفيد التلازم الواضح بينهما ، كما يفيد المساواة التامة بين كل منهما .

ومن هنا :

فالاتيان بواحد منهما دون الآخر : تقصير واضح ، وعجز بين ، وفشل ذريع ، ومخالفة لهذا الأمر الإلهى .

فالعبادة وحدها دون فعل الخير : فهم ناقص للأمر ، ومراسم جوفاء ، لا هدف منها ، ولا غاية لها .

وفعل الخير وحده دون العبادة : سعى لا خير فيه ، وجهد لا ثمرة له ، ولا فائدة منه ، ويصدق على أهله ، قوله تعالى :

﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾[١٢١] .

وكذلك :

---

(٢٧٨) سورة الحج : الآية ٧٧ .

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾(١٢٠) .

فهل فهم المسلمون هذا التلازم ، وهذه المساواة ؟

وهل يعمل المسلمون بموجب هذا التلازم وبمقتضى تلك المساواة ؟

رغبة فى : التفوق فى فهم الدين ، والتفوق فى حسن الامتثال ؟

ووصولا إلى التمكين ؟!!!!

ويقول سبحانه وتعالى كذلك :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾(٤) .

ويقول :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ﴾(٦٦) .

ويقول :

﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾(٨٠) .

ولن أطيل الوقوف عند هذه الأوامر الإلهية الكريمة ، التى لم تنل منا نحن المسلمين ، فى عصرنا هذا ، عصر الأزمة الطاحنة ،– عصر (التخلف المهين ، والانحطاط المشين ، والفقر من مقومات النجاح ، والبعد عن صفوف الزعامة ، والعجز عن الخلافة والقيادة) – سوى : الاهمال ، وسوء الفهم ، والبطء فى الامتثال ، بل العجز عن الامتثال .

وإن التفوق فى فهم هذه الأوامر الإلهية !!

وإن التفوق – كذلك – فى حسن الامتثال لهذه الأوامر الإلهية !!

لهو من أقوى الطرق المؤدية والموصلة إلى التمكين .

ويمكن أن نقول :

إن التفوق فى فهم هذه الأوامر الإلهية .

وكذلك : التفوق فى حسن الامتثال لهذه الأوامر الإلهية .

لهو من أقوى دلائل التمكين ، والبراهين الدالة على وجوده .

وفى النواهى :

يقول الله تعالى :

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ﴾[٢٣٥] .

فقد نهى المولى عز وجل جماعة المؤمنين : أن يصيبهم الوهن النفسى ، وأن يفقدوا الثقة بأنفسهم وبتقدمهم ، وبتفوقهم ، وبنصرهم .

إذ أن هذا الوهن ، وهذا الضعف النفسى : هو بداية الهزيمة ، وفاتحة أبواب التخلف ، والطريق المؤدى إلى الانحطاط ..

ومن هنا :

يُعلِّم المولى أتباعه وأولياءه ، ويؤكد لهم ، فى محاولة لبث الثقة فى نفوسهم ، وإزالة العقبات من طريق تقدمهم ، حينما يقول لهم « وأنتم الأعلون » .

فهل فهم المسلمون هذا الأمر حق الفهم ؟

وهل تحلوا بالثقة فى أنفسهم ، فى دينهم ، فى تفوقهم ؟

وهل انتهوا عن هذا الضعف النفسى ، واحترموا أنفسهم ، وأحسوا بقيمتهم ، وركبوا أساليب التفوق ؟

إن التخلص من هذا الهوان ، وهذا الضعف :

من أقوى الطرق – وأهمها – المؤدية إلى التمكين .

وكذلك :

يقول تعالى :

﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ﴾[279] .

والركون هنا : الاستناد ، والاعتماد ، والسكون إلى الشيء والرضا به[280] .

الذين الظالمين الذين اعتدوا

يعنى : والمعنى :

لا تودوهم ، ولا تطيعوهم ، من المودة والرضا بمبادئهم ، والطاعة لأفكارهم ومعتقداتهم .

لا تعتمدوا عليهم فى : جيوشهم ، وسلاحهم ، ومخترعاتهم .

لا تعتمدوا عليهم فى : إنتاجهم من الغذاء ، والكساء ، والدواء .

لا تعتمدوا عليهم فى : دراساتكم ، ومصالحكم ، وشئونكم .

أى : لا تعتمدوا عليهم فى كل هذا وغيره ، اعتمادا يلغى عقولكم ، ويمسح شخصياتكم ، ويذهب هيبتكم ، ويسجل عليكم : ضعفكم ، وتخلفكم ، وعجزكم ، وعدم صلاحيتكم لعمارة الكون وإدارة شئونه ، فضلا عن عجزكم فى إدارة شئونكم .

بل : تحرروا ، وانطلقوا ، واعتمدوا على أنفسكم .

بل : انتجوا – أنتم – غذاءكم ، وكساءكم ، ودواءكم ، وسلاحكم .

بل : تقدموا إلى ارتقاء قمم المجد ، وأوائل الصفوف ، ومراكز الزعامة العالمية .

وإلا ....!!!

﴿ فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾[279] .

---

(٢٧٩) سورة هود : الآية ١١٣ .

(٢٨٠) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٠٨/٩ .

فهلا فهم المسلمون هذا النهى ..!

وودَّعوا: الركون ، والاعتماد على الغير ، فى كل أمورهم وشئونهم .

وودعوا – كذلك – ليلهم الطويل ، ونومهم الثقيل .

وبدأوا فى : يقظة عامة ، وصحوة كبرى ، وانتفاضة واعية ، للاعتماد على النفس ، وللإنتاج البنَّاء ، ولامتلاك ناصية الدنيا ، وعمارة الكون .

وإن تخلصهم من الركون – والاعتماد العام الشامل – على الذين ظلموا .

وإن بدأهم فى : الاعتماد على النفس ، والإنتاج البناء ، وامتلاك ناصية الدنيا ، وعمارة الكون .

لهو من أقوى الطرق – وأهمها – المؤدية إلى التمكين .

ولا يخفى على أحد أن التفوق الدينى ، السابق ، والمصاحب للتفوق : العلمى ، والاقتصادى ، والعسكرى ، والسياسى ؛ له فاعليته : الواضحة ، الجلية ، القوية ، فى حدوث التمكين ، وملكيته لمن يتفوق فى هذا المضمار .

﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾(٢٤٤) .

﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾(١٢) .

وبتفوق المسلمين علميا .
وبتفوق المسلمين اقتصاديا .

وبتفوق المسلمين سياسيا .

وبتفوق المسلمين دينيا .

مع غير ذلك من صور التفوق :

﴿ يمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ﴾ .

ربهم سبحانه وتعالى .

المطلوب بعد التمكــين

وهو تمكين لا يريد الله به ، منهم ، ولا لهم :

﴿ علوا فى الأرض ولا فسادا ﴾(٢٨١) .

كما أنه : ليس اشباعا لشهوة التسلط فيهم ، ولا تمييزا لأمة على أمة – أو جماعة على جماعة – عار عن الفائدة والغاية النبيلة !

بل هو تمكين لصالح الجماعة الإنسانية كلها ، ولعمارة الأرض بأسرها ، وللأخذ بناصية الدنيا وسكانها إلى ما فيه : الخير ، والفلاح ، والهداية ، والنجاح .

ويتضح ذلك من الشرط الذى شرطه الله تعالى على من نال هذه الثمرة ، ووهبه ربه هذه النتيجة .

إذ يقول سبحانه وتعالى لمن يعطيهم التمكين من هذه الأمة ؛ مبينا لهم دورهم ، ومحددا لهم المطلوب منهم ، وموضحا لهم الغاية من هذا التمكين :

﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض

أقاموا الصلاة

وآتوا الزكاة

وأمروا بالمعروف

ونهوا عن المنكر ﴾(٢٨٢) .

---

(٢٨١) سورة القصص : الآية ٨٣ .

(٢٨٢) سورة الحج : الآية ٤١ .

أى : أقاموا دين الله ، والتزموا بمنهج الله ، وطبقوا شرع الله ، واصطبغوا – وصبغوا كل شيء – بصبغة الله :

﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾(٢٨٣) .

والذين يؤدون هذا الدور بنجاح ، ويقومون بالمطلوب منهم وفق ما أراد الله ، وأمر به ، ويحققون الغاية من هذا التمكين :

الله يتولى عنهم كل شيء :

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾(٢٨٤) .

﴿ والله ولى المؤمنين ﴾(٢٨٥) .

﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾(٢٨٦) .

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾(٢٨٧) .

---

(٢٨٣) سورة البقرة : الآية ١٣٨ .
(٢٨٤) سورة الحج : الآية ٣٨ .
(٢٨٥) سورة آل عمران : الآية ٦٨ .
(٢٨٦) سورة الأعراف : الآية ١٩٦ .
(٢٨٧) سورة يونس : الآية ٦٢ .

حكـــم المقصـــرين

أما من لم يحقق هذه المطالب ، ويوف بهذا الشرط الذى شرطه المولى على من نال هذه الثمرة ، ووهبه هذه النتيجة ، وهى التمكين !!

فقد قصر فى أداء الأمانة ، وعصى الله سبحانه وتعالى .

هذا ...

وإذا كان عصيان هذا الفريق : بالتقصير ، والإهمال ، والمخالفة فقط :

فهم : ممن اختبرهم الله تعالى بالتمكين ، ففشلوا فى الحصول به وبسببه على مرضاة الله تعالى ، عن طريق : الالتزام بمنهجه ، وإقامة دينه ، وتطبيق شريعته .

وهؤلاء : قد تولوا وانصرفوا عن طاعة الله تعالى ؛ فهم من فساق المسلمين ، ويجب نصحهم ، ودعوتهم إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا يحل قتالهم .

ويصدق فيهم قوله تعالى :

﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾(٢٨٨) .

(وأمرهم فى الآخرة إلى الله تعالى : إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم)(٢٨٩) .

أما إذا كان العصيان : بالإنكار والجحود .

فهم : ممن يجب على المسلمين قتالهم ؛ لأنهم مرتدون .

ويصدق فيهم قوله تعالى :

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾(٢٩٠) .

---

(٢٨٨) سورة محمد : الآية ٣٨ .

(٢٨٩) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٩٠/٦ .

(٢٩٠) سورة المائدة : الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ .

وقوله تعالى :

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾[290] .

وقوله تعالى :

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾[290] .

وهؤلاء مصيرهم :

الهلاك والدمار ، فى الدنيا .

والعذاب الأليم ، فى الآخرة .

لأن تمكنهم صار فى أيديهم : وسيلة للاستعلاء ، والاستعباد والافساد ، ولم يتجاوز إشباع شهوة التسلط .

كما أنه : أصبح تمييزا لهم عاريا عن الفائدة ، بعيدا عن الغايات النبيلة .

اقرأ هذا التنبيه والتحذير الإلهى الدائم :

﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن
مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم
وأرسلنا السماء عليهم مدرارا
وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم
فأهلكناهم بذنوبهم
وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾[291] .

وانظر إلى خبر قوم عاد الذين مكنهم الله :

﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه

---

(٢٩١) سورة الأنعام : الآية ٦ .

وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة

فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء
إذ كانوا يجحدون بآيات الله
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾[٢٩٢] .

إذ فقد تمكنهم صلاحيته ، ولم يحققوا شروطه .

ومن هنا : زال عنهم التمكين ، وسحب منهم ،
وكان الدمار من نصيبهم ،

وكان العذاب فى انتظارهم :

﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم ﴾[٢٩٢] .

دفعهم الأمل ، وغرتهم الدنيا ، وأنساهم ما كانوا فيه من المنعة والعزة والتمكين ، إلى أن يقولوا :

﴿ هذا عارض ممطرنا ﴾[٢٩٢] .

أى : هذا سحاب يمطر لنا .

يقول المولى لهم : مكذبا ظنونهم ، ومخيبا آمالهم :

﴿ بل هو ما استعجلتم به
ريح فيها عذاب أليم *
تدمر كل شيء بأمر ربها
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾ .

---

(٢٩٢) سورة الأحقاف : الآيات ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ .

قال الفراء : (لا يظهر منهم أحد ، لأنهم كانوا تحت الرمل ، وإنما ترى مساكنهم فقط ؛ لأنها قائمة)[٢٩٣] .

﴿ كذلك نجزى القوم المجرمين ﴾[٢٩٢] .

* * *

وهذه هى نتيجة التقصير الحتمية ، والمعروفة .

فهم استبدلوا بالذى هو أدنى الذى هو خير .

وهم الذين : فرطوا فى الأمانة ، وقصروا فى المسئولية .

ولذا : فهذا المصير هو الجزاء العادل لهم ، ولأمثالهم .

---

(٢٩٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/١٦ .

الفصل الثالث

الأمن

* تعريف ..
* لمن الأمن .. ؟
* بعض صور الأمن ..
* المطلوب بعد الأمن ..
* حكم المقصرين ..

تعريـــف

الأمن : ضد الخوف[٢٩٤] .

وفى المفردات للراغب الأصفهانى :

« أصل الأمن : طمأنينة النفس ، وزوال الخوف »[٢٩٥] .

وهو على ذلك :

حالة من الحالات التى يطمع فيها كل إنسان ، ويتمناها فى كل حين وآن ؛ إذ بدونها لا يكون إحساس بحياة ، ولا تمتع بمباح ، ولا قرار لفكر ، ولا حياة لمبادىء .

ومن هنا : كان رسول الله ﷺ يقول :

« من أصبح منكم : آمنا فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا »[٢٩٦] .

وللخوف فى حياة الإنسان مداخل كثيرة :

منها :

(أ) خوفه من الله تعالى :

﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون * تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا * ومما رزقناهم ينفقون ﴾[٢٩٧] .

---

(٢٩٤) ابن منظور : لسان العرب – مادة : أمن .

(٢٩٥) المفردات فى غريب القرآن . كتاب : الألف .

(٢٩٦) رواه : الترمذى ، كتاب : الزهد ، (واللفظ له) ، ورواه : ابن ماجه ، كتاب : الزهد ، باب : القناعة .

(٢٩٧) سورة السجدة : الآيتان ١٥ ، ١٦ .

﴿ إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ﴾[298] .

﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[299] .

(ب) خوفه من الناس :

﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾[300] .

﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ﴾[301] .

(ج) خوفه من الهموم ومتاعب الزمان :

﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ﴾[302] .

﴿ واللاتى تخافون نشوزهن ﴾[303] .

﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا ﴾[304] .

إلى غير ذلك من المداخل .

---

(٢٩٨) سورة الإنسان : الآية ١٠ .

(٢٩٩) سورة آل عمران : الآية ١٧٥ .

(٣٠٠) سورة الروم : الآية ٢٨ .

(٣٠١) سورة الأنفال : الآية ٢٦ .

(٣٠٢) سورة النساء : الآية ٩ .

(٣٠٣) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٣٠٤) سورة النساء : الآية ١٢٨ .

ومن هنا :

تتعدد صور الأمن – كمطلب هام من مطالب الإنسان – بتعدد صور الخوف هذه .

وأعلا صور الأمن :

الأمن من عذاب الله تعالى .

وذلك يكون :

بالكف عن المعاصى ، واختيار الطاعات .

ومن كان كذلك : فهو آمن .

ومن هذا المنطلق :

فإن الأمن لا يكون إلا من الله تعالى ، فلا يملكه الناس للناس، ولا يجلبه المال كذلك لأحد ، ولا يوفره الأبناء مهما كثروا للآباء ، ولا يورثه الآباء – بأى حال من الأحوال – لأبنائهم .

قال تعالى :

﴿ فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾(٣٠٥).

ولأهمية الأمن – على تعدد صوره – للجماعة الإنسانية ، وضرورته لسلامتها : أفاض القرآن الكريم فى الحديث عنه ، بالتفصيل والتوضيح .

ولكون الأمن – على تعدد صوره – نتيجة من نتائج امتلاك أدوات التقدم ، وثمرة من ثمار التحلى بشروط النهضة – للأمة الإسلامية : فإننا نعرض – فى الصفحات التالية بإيجاز – لحديث القرآن الكريم عنه ، على النحو التالى :

* * *

---

(٣٠٥) سورة قريش : الآيتان ٣ ، ٤ .

لمـــن الأمـــــن ؟

والأمن على هذا النحو : يكون منحة من الله تعالى لمن امتلك أدوات التقدم وتحلى بشروط النهضة على نحو ما تحدثنا فى الباب الثانى .

وهذه الأدوات – مرة أخرى – للتذكرة .

الإيمان .

العمل الصالح .

العبادة .

وقد حدث ذلك : فكان الأمن ..!!

اقرأ :

قوله تعالى :

﴿ فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين * وأن ألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴾(٣٠٦).

وقوله تعالى :

﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ﴾(٣٠٧) .

---

(٣٠٦) سورة القصص : الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

(٣٠٧) سورة الفتح : الآية ٢٧ .

تجد أن كل من نال الأمن واتصف به فى هذه الآيات الكريمة : هو ممن حقق أدوات التقدم ، وتحلى بشروط النهضة .

ويحدث – الأمن كذلك – كلما تم امتلاك هذه الأدوات .

اقرأ قوله تعالى :

﴿ وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾(٣٠٨).

ولهذا ...

فإنه فيما أرى : لن يتحقق الأمن أبدا لأية جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم ، فى أى مصر ، وفى أى عصر ، مع التغافل والتجاهل لأدوات التقدم ، أو مع التكاسل والعجز عن امتلاك هذه الأدوات ، فضلا عن المماراة والمنازعة فى جدواها ، ناهيك عن إنكارها أصلا .

ويتأتى هذا التغافل والتكاسل : نتيجة لعدم فهم الإسلام ، فهما واعيا سليما .

وتتأتى المنازعة فى جدوى أدوات التقدم : نتيجة للافتتان والانبهار أمام التيارات الفكرية الوافدة ، التى غزت نفوسنا وعقولنا ، وقد امتطت فى الوصول إلينا صهوة المنجزات العصرية الحديثة .

ويكون المردود العملى على حياتنا كأمة : نتيجة لهذا التغافل ، أو هذا التكاسل ، أو هذه المنازعة ، أو نتيجة لها مجتمعة ؛ أن نبحث عن الأمن عند غير مالكه .. وهيهات هيهات .. أن نجد مثل هذه الثمرة عند من لا يملكها !

---

(٣٠٨) سورة الأنعام : الآيات ٨٠ – ٨٢ .

كما يكون الواقع العملى فى حياتنا كأمة : نتيجة لهذا التغافل ، أو هذا التكاسل ، أو هذه المنازعة ، أو نتيجة لها مجتمعة : أن ينعدم الأمن تماما ، بالرغم من تعدد أجهزته ، وكثرتها ، وانتشارها ووفرة إمكاناتها .

ومن هنا :

فإنه فيما أرى : لن يتحقق الأمن أبدا للأمة الإسلامية ، إلا إذا قامت بأداء ما طلب منها فى (تذكرة الدواء الإلهية) ؛ من امتلاك أدوات التقدم وشروط النهضة .

فإذا ما حققت ما طلب منها ،

وامتلكت هذه الأدوات

حقق الله تعالى لها وعده ،

وأعطاها نتائج تقدمها ، وثمرات امتلاكها لأدوات هذا التقدم ،

ومنها الأمن .

* * *

بعض صـــور الأمـــن

والأمن فى الحقيقة : ثمرة من ثمرات امتلاك أدوات النهضة .

كما أن امتلاك هذه الأدوات : هو الأمن نفسه .

ومن هنا :

فإن صور الأمن – كما ستتعرض لبعضها – مبنية على هذا المفهوم .

وينقسم الحديث عن صور الأمن إلى قسمين :

أولا : فى الدنيا :

وتتعدد صور الأمن فى الدنيا ، بحسب كثرة همومها ، وكثرة المخاوف التى تنتاب الناس فيها .

ولا تتحقق هذه الصور – كما قلنا كثيرا – إلا لمن يمتلك أدوات النهضة.

فهناك لهؤلاء :

١ – الأمن على الحياة :

بمعنى الثقة الكاملة فى أنه : لا يملك إزهاق الروح ، وإنهاء الحياة ، إلا من خلق الروح ، ووهب الحياة ، مهما تعددت : صور الموت وألوان مفارقة الحياة ، وسواء أكان ذلك للأفراد ، أم للجماعات .

يقول تعالى :

﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ﴾(٣٠٩) .

٢ – الأمن النفسى من الضيق والهموم والمتاعب :

يقول الله تعالى :

---

(٣٠٩) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾[٣١٠] .

﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾[٣١١] .

وهكذا : بمنتهى البساطة واليسر ، دون دخول فى تعقيدات ونظريات الطب النفسى وغيره .

٣ - الأمن على الرزق :

وذلك أنه : بتفوقه ، وتقدمه ، سيرزقه الله تعالى بشتى صنوف الرزق ، وألوان المكاسب .

يقول تعالى :

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾[٣١٢] .

ويقول :

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾[٣١٠] .

وذلك : ما دام امتلاكه لأدوات التقدم ، دون تفريط فيها ، أو فى واحد منها . وما دام محافظا على نهضته وشروطها كذلك .

وليس هذا فقط : بل يضمن الله سبحانه وتعالى له الغنى ، لو تعرض للامتحان والاختبار ، فى مدى امتلاكه لأدوات التقدم ، ومقدار تمسكه بها ، وعدم تفريطه فيها ، وحاز درجات النجاح والتفوق فى هذا الامتحان والاختبار :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ﴾[٣١٣] .

---

(٣١٠) سورة الطلاق : الآية ٢ .

(٣١١) سورة الطلاق : الآية ٤ .

(٣١٢) سورة الأعراف : الآية ٩٦ .

(٣١٣) سورة التوبة : الآية ٢٨ .

٤ - الأمن على الذرية :

وذلك لا يتحقق - كما يزعم الناس ويفعلون - بتكدس الأرصدة لهم فى (البنوك) ، أو بالارتفاع من أجلهم فى بناء العمارات ، أو فى توصيلهم إلى أعلى المناصب والدرجات ، أو ... أو ... إلخ .

بل بامتلاك أدوات التقدم ، والتحلى بشروط النهضة .

تمتع - لتتأكد - بقراءة قوله تعالى :

﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ﴾[٣٠٢] .

وما دام الأمر كذلك : فلا داعى لأن يُذَل أحد لأحد ، ولا أن ترهب أمة أخرى .

بل الصواب أن نقول : فلا داعى أن يُذَل أحد من المسلمين لغير الله سبحانه وتعالى ، ولا أن تخضع أمة الإسلام لغيرها من الأمم .

وطريق ذلك ، بل الموصل إلى ذلك ، هو : امتلاك أدوات التقدم وشروط النهضة ؛ لتنال هذه الثمرة ، وهى الأمن ، لأفرادها ، وجماعتها .

ثانيا : فى الآخرة :

والأمن فى الآخرة : هو أعلا صنوف الأمن ، وأعز أنواعه ، ولا يكون إلا ثمرة لامتلاك أدوات التقدم هذه ، ونتيجة من نتائج تفوق أتباع الدين الإسلامى ، وأولياء الله سبحانه وتعالى ، الذين يبتغون رفعة الدين ، وطاعة الله تعالى ، ونشر العدل ، وإقرار السلام .

نقرأ سويا - متوثبين - قوله تعالى :

﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾[٣١٤] .

---

(٣١٤) سورة النمل : الآية ٨٩ .

وقوله تعالى راجين :

﴿ إن المتقين فى جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمنين ﴾(٣١٥) .

وقوله تعالى منتبهين :

﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾(٣١٦) .

وقوله تعالى خائفين :

﴿ إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾(٣١٧) .

وقوله تعالى داعين :

﴿ إن المتقين فى مقام أمين * فى جنات وعيون * يلبسون من سندس واستبرق متقابلين * كذلك وزوجناهم بحور عين * يدعون فيها بكل فاكهة آمنين * لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم * فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾(٣١٨) .

نعم ...

﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

وهو : الأمن الحقيقى ، والثمرة الشهية ، والنتيجة المرجوة ، التى تستحق من أجلها : الجد ، والمثابرة ، والصدق ، والإخلاص ، والطاعة ، فى التحلى : بالإيمان ، والعمل الصالح ، والعبادة .

---

(٣١٥) سورة الحجر : الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٣١٦) سورة سبأ : الآية ٣٧ .

(٣١٧) سورة فصلت : الآية ٤٠ .

(٣١٨) سورة الدخان : الآيات ٥١ - ٥٧ .

المطلـــوب بعد الأمـــن

وليس هناك بعد حصول الاستخلاف .

وكذلك : بعد نوال التمكين للدين .

وثالثا : بعد انعدام الخوف ونوال الأمن .

أقول : ليس هناك - بعد هذه الثلاثة - من شيء يتمناه إنسان ، أو من مطلب تتمناه أمة .

ومن هنا : فلا يليق بعاقل أن يكف بعد نوال ذلك ، من الاستمرار - بل الازدياد - فى طاعة الله تعالى ، والشكر بالطاعة على هذا النوال ، والشكر كذلك بالطاعة على هذه الطاعة .

وثانيا : ذكر الله ، والمداومة على ذلك ، ونشر ذلك فى العالمين ، أى نشر دينه ، ونشر كتابه ، ونشر هديه ، ونشر تشريعاته وأحكامه ، وإعلاء كلمته :

﴿ فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾(٣١٩) .

وثالثا : بالصبر على صنوف الابتلاء والاختبار .

التى يختبر الله بها عباده ، ويعلى بها - عند الصبر عليها - قدرهم ، ويجزل بسبب النجاح فى الصبر عليها ثوابهم .

والتى لا تتنافى مع نتائج التقدم ، وثمرات النهضة .

اقرأ معى متأملا ، قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا
بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾

---

(٣١٩) سورة البقرة : الآية ٢٣٩ .

ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون *
ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات
وبشر الصابرين *
الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون *
أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وأولئك هم المهتدون ﴾[٣٢٠] .

---

(٣٢٠) سورة البقرة : الآيات ١٥٢ - ١٥٧ .

حكـــم المقصريـــن

وإن أية أمة منحها الله نعمة الأمن :

فلم تستمر فى المحافظة على طاعة الله تعالى ، بل الازدياد فى هذه الطاعة .

ولم تستمر فى تملك أدوات التقدم وشروط النهضة والحفاظ عليها .

ولم تداوم على ذكر الله ، ونشره فى العالمين ، وإعلاء كلمته ، وتحكيم تشريعاته .

ولم تصبر على صنوف الابتلاء والاختبار ، التى يختبر الله بها شدة عزمها ، وقوة ولائها له سبحانه ، والتى لا تتنافى – فى الوقت نفسه – مع نتائج التقدم وثمار النهضة .

لهى أمة هالكة لا محالة :

﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت

آمنة مطمئنة

يأتيها رزقها رغدا من كل مكان

فكفرت بأنعم الله

فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾(٣٢١) .

وهذه سنة الله .

وهى باقية ما بقى الزمان وأهله .

لا تتبدل ولا تتحول :

﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾(٣٢٢) .

---

(٣٢١) سورة النحل : الآية ١١٢ .

(٣٢٢) سورة فاطر : الآية ٤٣ .

كما يستبدل الله بهذه الأمة – وفق سنته – غيرها .

نعم .. يستبدل بها غيرها ..!!

لتحقق ما طلب منها وفرض عليها ، من : الإيمان ، والعمل الصالح ، والعبادة .

ولتحافظ على ذلك دون تقصير ، كأدوات للتقدم ، وشروط لدوام النهضة .

ولتتجنب المحاذير التى تتعارض مع شروط النهضة ، وامتلاك ثمراتها ، : وهى : الغرور ، والانهزامية ، والحرب النفسية .

ولتتملك نتائج تفوقها ، وثمرات نهضتها ، وهى :

الخلافة ، والتمكين للدين ، والأمن .

نعم ..

يحدث هذا الاستبدال فى حال الانكار أو التقصير .

مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾[(٣٢٣)] .

ألا هل بلغت ..؟!!

اللهم فاشهد ..

---

(٣٢٣) سورة محمد : الآية ٣٨ .

فهارس الكتاب

* فهرس المراجع ..
* فهرس الموضوعات ..
* فهرس كتب المؤلف ..

فهـرس أهـم مراجـع البحـث

(مرتبـة هجائيـا)

١ - **القرآن الكريم .**

٢ - **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :**

تأليف : قاضى القضاة أبى السعود بن محمد العمادى الحنفى

المتوفى : سنة ٩٨٢ هـ - ١٥٧٤ م

تحقيق : عبد القادر أحمد عطا

٥ أجزاء

نشر : مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .

٣ - **أساس البلاغة :**

تأليف : جار الله محمود بن عمر الزمخشرى .

المتوفى : سنة ٥٣٨ هـ - ١١٤٢ م

تحقيق : عبد الرحيم محمود

عرف به : أمين الخولى

جزء واحد

نشر : دار المعرفة - بيروت : لبنان .

٤ - **أسباب النزول :**

تأليف : أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى

المتوفى : سنة ٤٦٨ هـ - ١٠٧٥ م

جزء واحد

الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م

نشر : شركة مكتبة مصطفى الحلبى - مصر .

٥ - أقلام مسمومة تهاجم الإسلام :

تأليف : الأستاذ على عبد العظيم
(العدد رقم ٨٥ من سلسلة مجمع البحوث الإسلامية - بالأزهر الشريف)
ربيع الأول ١٣٩٧ هـ - مارس ١٩٧٧ م

٦ - إلى الإسلام من جديد :

تأليف : أبو الحسن الندوى
نشر : المختار الإسلامى للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة
جزء واحد .

٧ - تفسير القرآن الكريم :

تأليف : عماد الدين إسماعيب بن كثير القرشى الدمشقى
المتوفى : سنة ٧٧٤ هـ - ١٣٧١ م
٤ أجزاء
طبع : دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبى - القاهرة .

٨ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن :

تأليف : أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى
المتوفى : سنة ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م
٣٠ جزء فى ١٢ مجلدا
الطبعة : الثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

٩ - الجامع الصحيح : وهو سنن الترمذى :

لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة
المتوفى : سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م

٥ أجزاء
الجزء الأول بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر القاضى الشرعى
الطبعة : الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
الجزء الثانى : لنفس المحقق
الطبعة : الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
الجزء الثالث : بتحقيق وتخريج وتعليق محمد فؤاد عبد الباق
الطبعة : الثالثة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م
الجزء الرابع والخامس : بتحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض المدرس بالأزهر الشريف
الطبعة : الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
طبع ونشر : مصطفى البابى الحلبى - القاهرة .

١٠ - الجامع لأحكام القرآن :

تأليف : أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى
المتوفى : سنة ٦٧١ هـ - ١٢٧٢ م
٢٠ جزء
الطبعة : الثالثة - عن طبعة دار الكتب المصرية - دار القلم - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م - القاهرة .

١١ - جريدة الأخبار :

(الأعداد المبينة بحواشى الكتاب)

١٢ - جريدة الأهرام :

(الأعداد المبينة بحواشى الكتاب)

١٣ - جريدة المسلمون الدولية :

(الأعداد المبينة بحواشى الكتاب)

١٤ - جريدة النور الإسلامية .

(الأعداد المبينة بحواشى الكتاب)

١٥ - دول الإسلام :

تأليف : الحافظ شمس الدين الذهبى
المتوفى : سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م
تحقيق : فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم
طبع : الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٤ م .

١٦ - سنن أبى داود :

صنفه وجمعه: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحق السجستانى
المتوفى : سنة ٢٧٥ هـ - ٨٨٩ م
وعليه تعليقات من : الشيخ أحمد سعدعلى (من علماء الأزهر الشريف)
جزءان
الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م
طبع ونشر : مصطفى الحلبى - القاهرة

١٧ - صحيح البخارى :

انظر : فتح البارى

١٨ - صحيح مسلم :

للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى
المتوفى : سنة ٢٦١ هـ - ٨٧٣ م
تحقيق : المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى
٥ أجزاء
نشر : عيسى الحلبى - القاهرة .

١٩ - العبادة فى الإسلام :

تأليف : الدكتور يوسف القرضاوى

جزء واحد
الطبعة : السادسة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
نشر : مؤسسة الرسالة - بيروت .

٢٠ - الغارة على العالم الإسلامى :

تأليف : أ . ل . شاتليه
لخصها ونقلها إلى العربية : محب الدين الخطيب ، ومساعد اليافى
نشرت : فى جريدة (المؤيد) سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م
وفى صحيفة الفتح سنة ١٣٤٩ - ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٠ م
جزء واحد
الطبعة : الثالثة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
طبع : المطبعة السلفية ومكتبتها
نشره : قصى محب الدين الخطيب .

٢١ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان :

تأليف : نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى
المتوفى : سنة ٧٢٨ هـ - ١٣٢٨ م
تحقيق ومراجعة : إبراهيم عطوة عوض
٣٠ جزء فى ١٠ مجلدات
نشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

٢٢ - فتح البارى « بشرح صحيح البخارى » :

للحافظ : أحمد بن على بن حجر العسقلانى
المتوفى : سنة ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م
قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا : عبد العزبز بن باز
رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه .. إلخ : محمد فؤاد عبد الباقى
أشرف على طبعه : محب الدين الخطيب

١٣ جزء+جزء كامل، هو: (هدى السارى: مقدمة فتح البارى)
الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان
توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع (عباس أحمد الباز) مكة المكرمة.

٢٣ – الفتوحات الإلهية « بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية » :

تأليف : سليمان بن عمر العجيلى الشافعى ، الشهير بالجمل
المتوفى : سنة ١٢٠٤ هـ – ١٧٩٠ م
٤ أجزاء
طبع : عيسى الحلبى – مصر .

٢٤ – فى ظلال القرآن :

بقلم : سيد قطب
المستشهد فى : سنة ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م
٣٠ جزء فى ٦ مجلدات
الطبعة الشرعية : العاشرة
نشر : دار الشروق – القاهرة .

٢٥ – قادة الغرب يقولون : « دمروا الإسلام أبيدوا أهله » :

تأليف : جلال العالم
جزء واحد (كتيب)
نشر : المختار الإسلامى – القاهرة .

٢٦ – الكامل فى التاريخ :

للإمام العلامة : ابن الأثير الجزرى
المتوفى : سنة ٦٣٠ هـ – ١٢٣٣ م
٩ أجزاء + جزء كامل للفهارس
عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه : نخبة من العلماء
الطبعة : الثالثة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م
نشر : دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان .

٢٧ – لسان العرب :

تأليف : جمال الدين محمد بن محمد بن مكرم بن أحمد بن منظور
المتوفى : سنة ٧١١ هـ – ١٣١١ م
٦ أجزاء
طبع : دار المعارف – القاهرة .

٢٨ – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين :

تأليف : السيد أبي الحسن على الحسيني الندوى
جزء واحد
الطبعة : السابعة ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م
الناشر : دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان .

٢٩ – مجلة الاعتصام :

(الأعداد المبينة بحواشي الكتاب)

٣٠ – مجلة العربى :

(الأعداد المبينة بحواشي الكتاب)

٣١ – مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا :

بقلم : الشيخ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا . المستشهد فى ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٩/٢/١٢ م .
مجلد واحد
الطبعة : الثالثة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م
نشر : المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر – بيروت .

٣٢ – مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى «مع محاضرة عن التصحيف والتحريف»:

تأليف : الدكتور محمود محمد الطناحى
جزء واحد
الطبعة : الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م

طبع : مطبعة المدنى – القاهرة

نشر : مكتبة الخانجى – القاهرة .

٣٣ – المستشرقون :

تأليف : نجيب العقيقى

٣ أجزاء

الطبعة : الرابعة

نشر : دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٠ م .

٣٤ – مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية :

تأليف : الشيخ محمد الغزالى

جزء واحد (كتيب)

الطبعة : الثانية ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م

نشر : دار الشروق – بيروت – القاهرة .

٣٥ – المفردات فى غريب القرآن :

تأليف : أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى

المتوفى : سنة ٥٠٢ هـ – ١١٠٨ م

جزء واحد

تحقيق وضبط : محمد سيد كيلانى

الطبعة : الأخيرة ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م

نشر : مصطفى البابى الحلبى – مصر .

٣٦ – الوثيقة .. « الإسلام الخطر » :

نص الخطاب الذى ألقاه و . هـ . ت . جايردنر فى مؤتمر أدنبرة للتبشير « التنصير » الدولى المنعقد بالقاهرة فى عشية السبت ١٨ يونيه ١٩١٠ هـ

جزء واحد (كتيب)

ترجمة : محمود الشاذلى
طبع : دار نافع للطباعة والنشر
نشر : المختار الإسلامى – القاهرة .

* * *

فهـرس الموضوعـــات

الموضـــوع | الصفحة

تقديـــم

٣ - ١٢

مدخــــل

« المسلمون : أصحاب رسالة .. وأتباع منهج »

١٣ - ٢٦

البــاب الأول

الأزمــة : أسباب ... ومظاهر

٢٧ - ١٠٤

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

البـاب الثـانى

أدوات التقدم .. وشروط النهضـة

١٠٥ - ٢٠٢

البـــاب الثالـــث

نتائج التقـدم ... وثمـار النهضـة

٢٠٣ - ٢٦٤

الموضـــوع	الصفحة

كتـــب للمؤلـــف

١ – الاستقامة .. فلاح فى الدنيا ونجاة فى الآخرة .

٢ – البداية فى التفسير الموضوعى .

٣ – تدوين القرآن الكريم .

٤ – جراحة التجميل بين التشريع الإسلامى والواقع المعاصر .

٥ – الخلافات الزوجية (صورها – أسبابها – علاجها) .

٦ – رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين .

٧ – زاد الدعاة من هدى القرآن الكريم (ج ١) .

٨ – زاد الدعاة من هدى القرآن الكريم (ج ٢) .

٩ – زاد الدعاة من هدى القرآن الكريم (ج ٣) .

١٠ – زينة المرأة بين التشريع الإسلامى والواقع الإنسانى .

١١ – صحوة فى عالم المرأة « رد على د . زكى نجيب محمود » .

١٢ – صناعة السلام فى الإسلام .

١٣ – قصص الأنبياء للإمام ابن كثير « تحقيق » .

١٤ – قصة النقط والشكل فى المصحف الشريف .

١٥ – ليلة القدر فى الكتاب والسنة .

١٦ – مقدمة فى التفسير الموضوعى .

١٧ – منجد المقرئين ومرشد الطالبين للإمام ابن الجزرى « تحقيق » .

١٨ – الموت فى الفكر الإسلامى .

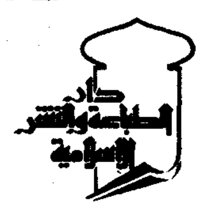
١٩ – وصايا سورة الإسراء .

رقم الإيداع

١٩٩٠ / ٢٩٢٤

الترقيم الدولى

I . S . B . N . 977 - 265 - 017 - 7



مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانىء الأندلسى ت : ٦١٨١٣٧